الفصل الأول:

ماهية الحرب النفسية؟؟ .

المبحث الأول: علم النفس الاجتماعي.

- مفهوم علم النفس الاجتماعي.
- السلوك الاجتماعي.
- السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية.
- الدوافع الاجتماعية للسلوك .
- الغرائز عند مكدوجال وفرويد.
- الغريزة في الإسلام .
- تعديل الدوافع.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في السلوك:

١- التربية. ٢- العقيدة.

٣- الرأي العام. ٤- الإعلام.

المبحث الثالث: أولاً- علم النفس العسكري.

ثانياً- الحرب النفسية.

الفصل الأول

ماهية الحرب النفسية

المبحث الأول – علم النفس الاجتماعي:

يعد علم النفس الاجتماعي القاعدة النظرية والتطبيقية للحرب النفسية، لذلك رأيت أن أجعله المبحث الأول لي: حتى أستند على أساس متين من العلم النظري.. وحتى يكوّن القارئ الكريم صورة واضحة للحرب النفسية وأسسها النظرية والعملية.

مفهوم علم النفس الاجتماعي:

إن دراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع، وتأثره وتأثيره فيه. كانت متأخرة نسبياً عن دراسة الظواهر النفسية لهذا الإنسان وما وراء هذه الظواهر من عمليات عقلية، مما عرف بعلم النفس النظري.

ولقد سار علماء النفس شَوْطاً بعيدًا في دراسة الإنسان دراسة اجتماعية لأهميتها ولا تصال علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع أولاً، من حيث تداخل موضوعاتهما، « بالإضافة إلى قرابة علم النفس الاجتماعي من علم الشعوب «الأثنولجي» وتداخله مع علم السياسة وارتباطه بالفلسفة وعلم الإنسان «انثروبولوجي» . ولكن بينما نجد المتخصص في هذه العلوم يهتم بالنتائج النهائية للتفاعل الاجتماعي أو بالتعميمات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والمواقف الاجتماعية، بصرف النظر عن السلوك الفردي للأشخاص، فإن المتخصص في علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الإنساني»[1].

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران – ص ١٩ ط ١ ١٩٧٧م.

ولعلنا من خلال التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع التوصل إلى مفهومه وإلى تبيان أهميته في الحياة المعاصرة، ومن هذه التعريفات: أن « علم النفس الاجتماعي هو ذلك الميدان من علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث هي تؤثر في أقرانها وتتأثر بها، وأن عالم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الاجتماعي كما يقع في الأحداث الاجتماعية المختلفة»[١] .

وأيضاً : « إن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة»[٢] .

ولكن ألا يهتم علم الاجتماع أيضاً بالسلوك الاجتماعي، ويحاول فهمه وتفسيره؟ نجيب : أنه على الرغم من أن علم الاجتماع الغربي قد توصل إلى تفسيرات ظنية، وعمّم أموراً بناها على استقراءات جزئية ناقصة خلال ملاحظته ودراسته للشعوب وليس هذا موضوع بحثنا إلا أنه اهتم بالإنسان وسلوكه، فهو إذا يقترب في تعريفه من علم النفس الاجتماعي.

فعلم الاجتماع يعرفه « جنزبرغ » أنه هو « الذي يدرس التأثيرات والعلاقات - الإنسانية المتبادلة وما يتحكم فيها من شروط وما ينشأ عنها من نتائج»[٣] .

إلا أن « أو للريخ » حاول تحديد ميدان علم الاجتماع وتمييزه عن علم النفس الاجتماعي فقال: « إن علم الاجتماع يدرس الظواهر الاجتماعية فهو لا يهتم بالسؤال عن كيفية تأثير الظواهر الاجتماعية على الفرد ولا عن استجاباته للتأثيرات الاجتماعية، وإنما يتركز انتباه علم الاجتماع حول التشابه والانتظام في حالة العقل والسلوك وإنتاج الفرد»[٤] .

---

(١) ميادين علم النفس - ج جيلفورد - ترجمة يوسف مراد - مجلد ١ ص ٢٩٩ .

(٢) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي - مصطفى سويف ص ٤٤ .

(٣) علم الاجتماع - موريس جنزبرغ - ترجمة فؤاد زكريا ص ١٠.

(٤) علم النفس الاجتماعي - عبد المجيد عبد الرحيم ص ١٤-١٥ .

ومع ذلك لا يمكن عزل علم الاجتماع عن علم النفس الاجتماعي كما يرى الدكتور صلاح مخيمر « وأن مجال علم النفس الاجتماعي هو كمجال سائر العلوم الإنسانية الأخرى، ينصب على الحقيقة الإنسانية في كل مظاهرها»[١] .

ونخلص إلى تعريف جامع كما هو عند الدكتور عبد السلام زهران: « وعلم النفس الاجتماعي يمكن تعريفه بأنه فرع من فروع علم النفس يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لمثيرات اجتماعية، وهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل - وهدفه هو بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة»[٢] .

وبإلقائنا نظرة على هذه التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي نجدها من حيث المنهج والاهتمامات يمكن الاستفادة منها في التصور الإسلامي للفرد والجماعة، ولكن الحذر الشديد من نتائج هذه الدراسات، لأنها نبتت، في الأساس، في الحياة الغربية المادية، ومبنية على آراء (دوركهايم) ونظرياته الظنية في الفرد والمجتمع، وفي الدين والعقائد، وآراء « فرويد» في علم النفس.. وما زال فكر هذين الاثنين يتغلغل في فكر أكثر علماء الاجتماع وعلماء النفس الغربيين.. وإن صورة المجتمع الغربي الحالي وما فيها من تحلل للأسرة والأخلاق لروح المنفعة .. والروح العدائية لغيرهم من الشعوب، بالإضافة إلى الاستغلال السيِّئ لعلم النفس الاجتماعي في الإعلام خاصة، والأسلوب « المكيافيلي» في الدعاية والحرب النفسية، إن هذه الصورة المقيتة لن تكون أساساً لمجتمع صالح.

وبإلقائنا نظرة على تعريفات علم النفس الاجتماعي من خلال التصور الإسلامي، نجد أن الإسلام يدرس سلوك أو أخلاق الإنسان لا تبعاً لاستجابات

(١) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - د. صلاح مخيمر وعبد ورزق ص ٢٠.

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٩ و ١٠ .

لمثيرات فقط بل تبعاً لبواعث اعتقادية.. فالأخلاق في الإسلام مبنية على مبادئ من القرآن والسنة.. والتزام المسلم بهذه المبادئ تدفعه إلى التحرك والعمل وفق هذه المبادئ ولا يحتاج إلى مثير خارجي، ولا مانع من وجود المثير للسلوك. فالمسلم قد يثيره منظر فقير فيتصدق عليه ، أو منظر عاجز فيعينه. ولكن تصدقه على الفقير وإعانته للعاجز، هذا السلوك يستند على مبادئ الإسلام وخلق القرآن وإلا لما كان الفعل موجوداً .. إذاً حتى المثيرات لا تحرك الإنسان بفعل إيجابي إذا لم تستند على مبادئ .. وقد لا تكون هناك استجابة مطلقاً إذا تعارض المثير مع هذه المبادئ، فالمسلم الصائم يثيره منظر الطعام ولكنه لا يستجيب له. لأن عقيدته تنهاه عن تناول الطعام أثناء الصيام .

والنظرة الإسلامية تتميز عن المفهوم الماركسي أيضاً لعلم النفس الاجتماعي.

فعلم النفس الاجتماعي – كما يقول يوري شيركوفين – « يدرس ذلك الجزء من الوعي الاجتماعي، الذي يتكون ويؤدي وظيفته كنتيجة إجمالية للانعكاس المباشر لحقائق الواقع الاجتماعي في وعي الناس أو لتفسيرهم النفسي للمعلومات عن هذه الحقائق»[1] .

وهذا التعريف ينبثق من التصور الماركسي المادي للأفكار والعقائد.. فالوعي الاجتماعي يتكون من الانعكاس المباشر لحقائق الواقع. والظواهر المادية في وعي الناس... أما الحقائق الإلهية .. وآيات الله عز وجل .. وتأثيرها في النفس البشرية.. وأثر ذلك في الأخلاق والسلوك – وهذا ما نجده واضحاً في التاريخ الإسلامي .. في حياة الصحابة والتابعين، والفتوحات الإسلامية – كل هذه الحقائق الواقعية عموا عنها وصمّوا آذانهم منها.

---

(١) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية – يوري شيركوفين – ص ٢٤ – دار دمشق ٩٧٨ ترجمة – نزار عيون السود.

ففي التصور الإسلامي: الخلق أو السلوك أو الواقع الاجتماعي ينبعث من مبادئ الإسلام وهدي القرآن، أو هو نتيجة إيجابية لهذه المبادئ، وليس الواقع الاجتماعي مكوِّن هذه المبادئ.. ولا حاجة للتدليل على هذا. إذ الحياة الواقعية في الإسلام .. لكي تسمى حياة إسلامية يجب أن تصاغ وفق مبادئ الإسلام.. وابتعادها عن هذه المبادئ يُبعدها عن الإسلام ذاته .. ويبعدها عن الحياة الحقيقية، وعن الحضارة الصحيحة التي يريدها الإسلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال ٢٤] والذين لا يطيعون الله ورسوله هم بمرتبة الدواب .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنفال ٢٠-٢٢] .

وأن القرآن كان هو الهادي إلى سبيل الأخلاق، والسلوك اليومي.. كما في حديث عائشة – رضي الله عنها – عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ أجابت: « كان خلقه القرآن» [(١)] .

ولاشك أن دراستنا للتفاعل الاجتماعي المبني على الكتاب والسنة، ونتائج هذا التفاعل يبين لنا عظمة هذه المبادئ، وكذلك ينير لنا الطريق في دراستنا للرأي العام الإسلامي وتكونه. والدعوة فيه.. وكذلك يجعلنا ندرك كيف استطاع أعداء الإسلام، عندما درسوا المجتمع الإسلامي، ودرسوا المحرك الأساسي لهذا المجتمع، عَرفوا كيف يستخدمون هذا المجتمع.. من الداخل.. عندما يئسوا من تدميره من الخارج عن طريق القوة العسكرية.

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم بطوله باب « صلاة الليل والوتر» .

السلوك الاجتماعي:

رأينا في تعريفات علم النفس الاجتماعي . اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي بين الفرد والفرد الآخر في المجتمع، وبين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والمجتمعات الأخرى. وما يتبع ذلك من تأثر وتأثير، والسلوك الفردي والاجتماعي هو مظهر هذا التفاعل، ولهذا لابد من دراسة هذا السلوك، وتبيان ماهيته، وكيف يتكون؟ وما هي القوى المحركة له؟ وما هي العوامل المؤثرة فيه؟

يُعرَّف السلوك بـ « أنه المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي» و« إن الخاصية الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي بعض النباتات، هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها المنبهات»[١] .

ويعرف بعضهم السلوك بشيء من التفصيل قائلاً: « هو أي نشاط جسمي أو عقلي اجتماعي أو انفعالي يصدر من الكائن الحيّ نتيجة لعلاقة « دينامية » وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به. والسلوك عبارة عن استجابة أو استجابات لمثيرات معينة ويجب التفريق بين السلوك على أنه استجابة كلية وبين النشاط (الفسيولوجي) كاستجابات جزئية. والسلوك خاصية أولية من خصائص الكائن الحي، ويتدرج السلوك بين البساطة والتعقيد، وأبسط أنواع السلوك « السلوك الانعكاسي ومن أعقد أنماطه « السلوك الاجتماعي » فالسلوك الانعكاسي محصور في الفرد ولا يحتاج إلى استخدام المراكز العقلية الأولي في الجهاز العصبي، ومعظمه وراثي، ولا إرادي وغير اجتماعي، أما السلوك الاجتماعي فإنه يتضمن علاقات بين أفراد الجماعة وبين الفرد والبيئة الاجتماعية، ويحتاج إلى تشغيل المراكز العقلية العليا. وهذا السلوك مُتعلم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. ويتضمن اتصالاً اجتماعياً، وهو إرادي ومحدود اجتماعياً»[٢] .

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٣١ (نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية).

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٦ .

من هذين التعريفين للسلوك نتبين أن السلوك: نشاط جسمي أو عقلي أو انفعالي أو اجتماعي. وخاصيته الأساسية هي الحركة.. وبكلمة أخرى السلوك: عمل يصدر من الكائن الحي نتيجة منبهات، وهذه المنبهات إما أن تكون منبهات خارجية من المجتمع. وإما منبهات داخلية من ذات الإنسان. وما المنبه في الواقع سوى الباعث على العمل، وهذا الباعث يتكون في البيئة الاجتماعية عن طريق التنشئة الاجتماعية، وكيفما يكون المجتمع يكون سلوك الأفراد، فإن كان المجتمع أخلاقياً ويسير وفق مبادئ الخير والصلاح نشأ الأفراد خيّرين صالحين في سلوكهم في المجتمع، وإن كان المجتمع جاهلياً لا يسير على مبادئ الهداية، والوحي الإلهي نشأ الأفراد ذوي سلوك جاهلي غير أخلاقي..

فالطفل مثلاً في المجتمع الإسلامي ينشأ منذ صغره في البيت والمدرسة والحي.. على الأخلاق الإسلامية، التي تسير على هدى الله، أو على مبادئ السلوك الأساسية مثل الصدق والعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى والوفاء بالوعد والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي .. فينشأ في هذه البيئة النظيفة على هذه الأخلاق، صادقاً عادلاً وفياً.... إلخ .

ومقابل ذلك إذا نشأ هذا الطفل في مجتمع جاهلي، بعيداً عن وحي الله بعيداً عن الأخلاق الأساسية للخير والصلاح .. هذا الطفل سينشأ إنساناً أنانياً تسيره المنافع المادية والغرائز الحيوانية والهوى البغيض.. سينشأ متحللاً أخلاقياً، يعيش كالبهائم الضالة لا يعرف له وجهة ..

ونخلص إلى القول إلى أن السلوك في تصورنا الإسلامي عمل، أو حركة لها هدف وتنبع من مبادئ العقيدة والخير المستمدة من هدى الله.. في القرآن الكريم والسنة المطهرة. التي وفقها يصوغ المسلم حياته، وسلوكه فيها، ويتحرك وفق

مبادئها.. وإن خرج على هذه المبادئ، لا يعد مسلماً صادقاً في إسلامه ولا مؤمناً مخلصاً في إيمانه.

وفي التأثير على هذا السلوك يمكن التحكم بالإنسان، وبما أن الحرب النفسية تسعى إلى تغيير سلوك الفرد بعوامل نفسية واجتماعية مختلفة كالدعاية والشائعة وغيرهما .. وبما أن السلوك أساسه عقل الإنسان ونفسه، لذا كان هدف الحرب النفسية هو عقل الإنسان وقلبه وليس جسمه، فهي تسعى إلى الهزيمة الداخلية للعدو وهزيمة نفسه وروحه قبل هزيمة جسمه.

السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية:

رأينا أن علماء النفس يُميزون بين نوعين من السلوك وهما:

١- السلوك العقلي الراقي (وهو يتضمن السلوك الاجتماعي).

٢- السلوك الآلي أو الانعكاسي.

أما الغزالي – رحمه الله – فقد ميز بين ثلاثة أنواع من السلوك وهي:

١- الفعل الطبيعي: وهو مجرد التغيير الآلي.. وذلك كانخراق الماء إذا وقف الإنسان فيه بجسمه[١] .

٢- الفعل الضروري : وهو التغيير الحيوي (البيولوجي)والآلي وذلك كالرَعَد أو النَّفَس، وهو يعطي هذا الفعل أحياناً الصفة الإرادية ولكنه ينزعها عنه غالباً فيبين أنه في الواقع ليس إلا سلوكاً آلياً لا إرادة أو عقل فيه، ويشرح ذلك بقوله: «فلو قصد عين إنسان بإبرة طبق الأجفان اضطراراً ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر»[٢] .

---

(١) إحياء علوم الدين – الغزالي ج ٤ ص ٢٤٨.

(٢) المرجع السابق –الجزء والصفحة نفسها.

٣- السلوك العقلي الإرادي، وذلك كالكتابة والمشي والنطق .. ويشرح الغزالي الفرق بين نوعي الفعل الاضطراري والإرادي، بمثل ما يشرح به علماء النفس الفرق بين السلوك الآلي والعقلي، ذلك أن الفرق بينهما في نظره يبدو « في أن الأفعال الاضطرارية تصدر عن الإنسان دون سابق إرادة أو علم ودون قدرة على ردّها، أما الأفعال الاختيارية فإنها تصدر بعد سابق معرفة واختيار»[١] .

وكذلك نجد ابن تيمية – رحمه الله – يقسم السلوك أو الحركة إلى ثلاثة أنواع:

١- الحركة القسرية : وهي التي مبدؤها من غير المتحرك.

٢- الحركة الطبيعية: وهي التي مبدؤها من المتحرك ولكن دون شعور منه.

٣- والحركة الإرادية وهي التي مبدؤها من المتحرك وبشعور منه ويتضح هذا التقسيم بقوله: « الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية الكرهية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية»[٢] .

ويؤكد الغزالي وابن تيمية أن للسلوك دوافع وبواعث وغايات وأهداف.. وأن هذه الدوافع داخلية تنبع من ذات الإنسان إلا أنها تستثار بمثيرات خارجية أو بمثيرات داخلية تتعلق بالحاجات الجسدية والميول الطبيعية.. مثل الجوع، والميل الجنسي، والخوف من الله، والمحبة وغير ذلك .

وهكذا نجد أن السلوك عند الغزالي وابن تيمية حركة لها هدف، وليس سلوكاً ساكناً من النوع الذي حددته بعض المدارس السلوكية الارتباطية.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٨.

(٢) درء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية ج ٩ ص ٣٧٣، ٣٧٤ – طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – وكذلك انظر فتاوى ابن تيمية (ط الرياض) ج ١٠ ص ٤٩٥، وانظر أيضاً كتاب: العقل، للمؤلف . وهو الكتاب الأول من سلسلة الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية ص ١٦١- ط ١٤٢٥هـ بالرياض.

فالمذاهب السلوكية ترى أن الكائن الحي ما هو إلا آلة معقدة، وتدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل بها ولا شعور، أما العوامل النفسية الباطنية كالإرادة والرغبة والتفكير فلا أثر لها في العقل أو النتائج، وبعبارة أخرى فالكائن الحي لا تحركه عوامل داخلية بل منبهات خارجية[١] .

وهناك أمور أخرى يخالف فيها الغزالي المدرسة السلوكية التي يتزعمها « جون بردوس وطسن » ومفتاح مذهبه « إذا عرفت المنبه فيمكنك أن تتنبأ بالاستجابة»[٢] .

فالإنسان في نظر المدرسة السلوكية آلة يمكن التنبؤ بحركاتها عندما نعرف تركيبها، ويؤكد علم النفس السلوكي دراسة الحركات المقابلة للقياس في الكائن الحي من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسبقها، ويعتقد السلوكيون أن حقائق علم النفس يمكن بحثها موضوعياً ، وأن وصف الشعور ليس أمراً جوهرياً.

بينما نجد الغزالي وابن تيمية يؤكدان أن السلوك فردي يختلف من إنسان لآخر باختلاف العوامل الفطرية والاكتسابية . ونشاط النفس عند الغزالي أو صفاتها ليست منفصلة عنها « وهيئاتها لا تتماثل ولو تماثلت لاشتبه علينا زيد بعمرو»[٣] .

والغزالي يؤكد التصور الإسلامي في الإنسان من حيث إمكانية تعديل سلوكه أو تهذيبه أو السمو به في مجال الأخلاق ليصل بالإنسان إلى ما يرضي الله تعالى.

لذلك كان تعريف السلوك عند الغزالي بأنه « تهذيب الأخلاق والأعمال بالمعارف عن طريق الاشتغال بعمارة الظاهر والباطن»[٤] .

---

(١) الدراسات النفسية عند المسلمين – عبد الكريم العثمان – ص ١٦٣ مكتبة وهبة ط ١ – ١٣٨٢هـ.

(٢) ميادين علم النفس – ج – جيلفورد – المجلد الثاني – ص ٩٧٦ – دار المعارف ط ١٩٦٢م.

(٣) إحياء علوم الدين – الغزالي ج ٤ ص ٥ – وكذلك : رسالة: مسألة فيما إذا كان في العبد محبة لما هو خير وحق ومحمود في نفسه – تحقيق د. محمد رشاد سالم – ضمن كتاب ، دراسات وبحوث إسلامية – القاهرة - ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢م .

(٤) الروضة الندية – الغزالي – ص ١٣٨.

لذا فإن السلوك الإنساني عند أبي حامد على مستويين: مستوى يقترب فيه من باقي الكائنات الحية. ومستوى آخر يحقق فيه مثله العليا ويقترب فيه من المعاني الربانية والسلوك الملائكي ، ويتميز المستوى الأول بتحكم الدوافع والعوامل الاندفاعية، بينما يتميز السلوك الثاني بتحكم الإرادة وسيطرة العقل[١] .

الدوافع الاجتماعيية للسلوك:

يعد موضوع الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك الاجتماعي بصفة عامة من الموضوعات المهمة في علم النفس، لأن دوافع السلوك بطبيعة الحال تفسره[٢] .

لذلك فإن دراستنا للدوافع الاجتماعية تساعدنا على أمور أهمها[٣]:

أ) فهم السلوك الاجتماعي للفرد وللجماعة.

ب) توجيه السلوك البشري الوجهة التي نريدها.

ج) وضع معايير اجتماعية للسلوك تتضمن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والحرص على بنائها من خلال عملية التربية.

د) تحصين الأفراد والجماعات ضد الحرب النفسية وتعريفهم بأساليبها.

هـ) تخطيط الإعلام وجميع وسائله السمعية والبصرية، بشكل يؤدي دوره كاملاً في التأثير المرغوب في سلوك الفرد والجماعة .

وقد مر معنا أن السلوك حركة تنتج عن منبهات داخلية وخارجية .. وما هذه المنبهات سوى الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك، وتشمل الغرائز الفردية والاجتماعية.. أما المنبهات الخارجية فتشمل جميع المؤثرات الاجتماعية، أو العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك .

---

(١) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان ص ١٦٤.

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١٠٩.

(٣) انظر المصدر السابق ص ١٠٩.

ومن هنا كان اهتمام خبراء الحرب النفسية بموضوع الدوافع الاجتماعية، واستغلالها وتوجيهها الوجهة المطلوبة عن طريق أسلحة الحرب النفسية المتعددة.. وبوساطة وسائل الإعلام المتعددة.

إن اهتمام علماء النفس في الدوافع ومحاولة دراسة هذا الجزء المهم من الحياة النفسية لم يبدأ إلا حديثاً عند علماء الغرب.. بينما نجد الغزالي ومن بعده ابن تيمية كانا من أوائل علماء الإسلام في دراسة الدوافع وتأثيرها في الفرد، وتعديلها وإعلائها، وسبقا بها العلماء المحدثين بقرون عديدة[١] ، وإن دلَّ هذا على شيء، فإنه يدل على أن للغزالي ولابن تيمية خبرة عميقة بالنفس البشرية وأحوالها.

والدوافع عند الغزالي هو كل ما يدفع إلى النشاط النفسي أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً، وإذا كان الغالب على الدوافع أن يكون غير مشعور به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإذا قوي واستقر بتأثير التجارب الانفعالية كان عاطفة فإن الغزالي يستعمل الدوافع بالمعنى الشعوري غالباً[٢] ودوافع السلوك عند الغزالي على نوعين :

١- مثيرات خارجية: وذلك كهيجان الرغبة لصورة امرأة[٣] أو هيجان الشهوة بسبب كثرة الأكل، ومداخل هذه المثيرات هي الحواس الخمس[٤] .

٢- بواعث داخلية تتمثل في الخواطر وحركاتها والخيالات الحاصلة التي تبقى في النفس إذ ينتقل الخيال من شيء إلى شيء، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال[٥] .

---

(١) عاش الغزالي في القرن الخامس الهجري ٤٥٠ – ٥٠٥هـ (الحادي عشر الميلادي) ، وعاش ابن تيمية في القرن السابع الهجري ٦٦١ – ٧٢٨هـ (الثالث عشر الميلادي).

(٢) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان ص ١٧٠ .

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٤٠ .

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٥.

(٥) الإحياء ج ٣ ص ٢٥.

وإن مطالعتنا لكتاب الإحياء تبين لنا أن الغزالي يتكلم عن نوعين من الدوافع الأساسية:

أ) دوافع فطرية: مغروزة في الإنسان منذ أن خلقه الله.. مثل شهوة النساء والطعام والزينة.

ب) دوافع مكتسبة : وهي دوافع يكتسبها الإنسان في الحياة . مثل شهوة المال والرياسة والجاه والاجتماع.

والتقسيم نفسه نجده عند ابن تيمية أيضاً حيث قسم الدوافع إلى فطرية ومكتسبة. وقد استفاض في تبيان الدوافع الفطرية أو الغرائز في الإنسان في كتابيه الفتاوى ودرء تعارض العقل والنقل[1] .

والدوافع المكتسبة عند الغزالي لا تقل أهمية عن الدوافع الفطرية، يقول « ومهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وأنس بهما، أحب الدنيا ولم يتمكن منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة. وإذا ظهر ذلك لم تسمح له نفسه بترك الدنيا رأساً وتمسك من الدين بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور»[2] .

وتحدث الغزالي عن قوة بعض الدوافع وترتيب ظهورها في الإنسان بقوله: « أما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا شهوة الغذاء الذي هو يحتاج إليه، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، على الترتيب » ثم يظهر فيه، مميزاً عن البهائم ، العقل والإرادة – والقدرة على دفع الشهوات[3] .

---

(١) انظر : الفتاوى ١٠/ ٧٢ ، ٥٧١، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٦٠٧، ٥٨٨و ١٤/ ٣٨ ، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) الإحياء ج ٣ ص ٧٦.

(٣) الإحياء ج ٤ ص ٦٢.

ومن هذا النص نفهم أن الغزالي يشير إلى أن الدوافع فطرية في الإنسان وتظهر خلال مراحل العمر من الصبا وحتى الرشد.

والمحور الذي تدور حوله دوافع الإنسان هو حب البقاء . وكلما اقترب الدافع من هذه الحاجة كلما كان أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً ، والغزالي يشرح ذلك فيقول: « ولذلك كان أغلب أحوال النفس، الشره والشهوة والجماع على اعتبار أنها الأصلح للحياة»[(١)] .

وكما يقول في مكان آخر : « وكانت شهوة البطن والفرج أهم ميول الدنيا[(٢)] على اعتبار أنها الأصلح والألصق ببقاء الحياة وكل ما سواهما فهو تبع لهما.

والغزالي يعد الميل إلى الطعام أساساً للميول والدوافع لصلته الوثيقة بحب البقاء وكذلك يقول : « أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن»[(٣)] .

ويظهر لنا واضحاً أن الميول لا تقصد لذاتها وإنما تقصد لغيرها أي لتحقيق البقاء، فالميل إلى التملك والميل إلى الاجتماع، وكذلك باقي الشهوات الدنيوية إنما يشتغل القلب بها « لبقاء المركب الذي هو البدن»[(٤)] .

الغرائز عند مكدوجال وفرويد:

لقد درس الغرائز كثير من علماء النفس الغربيين أمثال مكدوجال وفرويد، إلا أن ما يجب أن ننبه إليه أن هؤلاء حينما يعرضون هذه الغرائز يعدونها حقائق موجودة في الكائن الحي الإنساني، وهذا جيد، ولكن السيئ في دراستهم أن هذه الغرائز يجب أن تترك دون ضبط، طليقة من كل قيد يقيدها، مثل الدين والمجتمع والعقل، لأن هذا هو واقع الحياة، وأن أي كف لهذه الغرائز يعرض الإنسان للأمراض النفسية، وهذا ما سنراه عند « فرويد » بشكل خاص.

---

(١) الإحياء ج ٣ ص ٩٣.
(٢) الإحياء ج ٣ ص ٣٤٣.
(٣) الإحياء ج ٣ ص ٧٧ .
(٤) الإحياء ج ٣ ص ٢٢٩.

ونود التنويه إلى أن ما نعرضه من آراء « مكدوجال وفرويد» في حاجة إلى أن يُتلقى بانتباه شديد لأنه ليس إلا حدوساً أو افتراضات يحكمها الهوى وتدفعها الرغبة وتتحرك من خلال غرض مرسوم. فهي ليست خالصة للعلم وحده، لأن العلم في هذه الأمور ما زال قاصراً في ميادين كثيرة وخاصة ما يتعلق منها بالنفس البشرية[١] يقول الكسيس كاريل في كتابه المشهور « الإنسان ذلك المجهول » : « وواقع الأمر أن جهلنا مطبق. فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنة مازالت غير معروفة»[٢] إذاً ليس أمامنا من حقائق إلا ما قدمه لنا الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها والسنن الثابتة التي لا تتغير.

قال تعالى:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠]

وقال تعالى: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ ﴾ [النجم ٣٢]

وسنتعرض لرأي الإسلام في الغرائز بعد عرض رأي كل من مكدوجال وفرويد.

يُعرف مكدوجال الغريزة بقوله: « إنها استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى مثير معين يدركه إدراكاً حسياً، ويشعر بانفعال خاص عند إدراكه، وعلى العمل أخيراً، أو الشعور بدافع إلى العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا المثير، وعلى هذا فللغريزة ثلاثة مظاهر: مظهر معرفي، ومظهر انفعالي، ومظهر نزوعي[٣] .

---

(١) ارجع كتاب «الإنسان بين المادية والإسلام» د. محمد قطب.

(٢) الإنسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل – ص ١٧ تعريف شفيق أسعد فريد.

(٣) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١٠٩.

وقد صنف مكدوجال الغرائز إلى:

(أ) غرائز فردية .

(ب) غرائز اجتماعية.

أ – **الغرائز الفردية** : وتتلخص في غريزة البحث عن الطعام وانفعالها الجوع ، وغريزة التملك وانفعالها لذة التملك، وغريزة الاستغاثة وانفعالها الشعور بالعجز، وغريزة الهرب وانفعالها الخوف، وغريزة النفور وانفعالها الاشمئزاز ، وغريزة الضحك وانفعالها الشعور بالمرح والتسلية، وغريزة الحل والتركيب وانفعالها لذة الابتكار، وهي تتصل بغريزة الاستطلاع [١] .

ب – **الغرائز الاجتماعية**: وتتلخص في الغريزة الجنسية وانفعالها الشهوة، وغريزة الوالدية وانفعالها الحنو وترتبط بالغريزة الجنسية، وغريزة السيطرة وانفعالها الزهو، وغريزة الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص، وهي تتصل اتصالاً عكسياً بغريزة السيطرة، وغريزة المقاتلة وانفعالها الغضب، وغريزة التجمع وانفعالها الشعور بالوحدة والعزلة[٢] .

وقد فسّر فرويد الدوافع على أساس الغريزة، والغريزة عنده قوة تفرض وجودها وراء التوترات المتأصلة في حاجات الكائن العضوي (أو حاجات الهُوَ)[٣] .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٩ – ١١٠.

(٢) المرجع السابق ص ١١٠.

(٣) ((الهو)) هو الجزء اللاشعوري العميق من النفس والذي يضم الدوافع الغريزية ومختلف الرغبات المكبوتة، وتسيطر عليه الميول الاندفاعية العمياء وهو خاضع لمبدأ اللذة . و((الأنا)) هو الجزء السطحي الشعوري من النفس ووظائفه أن يفحص الواقع وأن يتقبل ، عن طريق الاختيار والضبط، بعض المطالب والرغبات التي تمثلها الدوافع الصادرة عن ((الهو)) وهو خاضع لمبدأ الواقع. (معجم مصطلحات علم النفس – منير وجيه الخازن – مادة: الأنا).

ومصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر، وموضوعها هو الأداة التي تحقق الإشباع أو توصل إليه، وهناك عدد كبير من الغرائز، إلا أن معظمها يستنتج من عدد قليل من الغرائز الأساسية[١] .

ومن الغرائز التي قال بها فرويد: غريزة الحياة أو غريزة الحب أو القوى البناءة في النفس وتهدف إلى البقاء، ويدخل في إطارها غرائز حفظ الذات وحفظ النوع وحب الذات، ويقابلها غريزة الموت أو غريزة الهدم أو القوى التدميرية في النفس، وتهدف إلى الفناء. ويوجد صراع دائم بين هاتين الغريزتين الأساسيتين والسلوك حسب هذه الآراء هو مزيج متوافق أو متعارض من غرائز الحياة وغرائز الموت، ويؤدي فساد هذا المزيج إلى اضطرابات في السلوك[٢] .

ويميز فرويد بين غرائز (الأنا) وبين الغريزة الجنسية ، فغرائز (الأنا) هي القوى المعارضة للنزعات الجنسية وهي القوى التي تعمل على حفظ (الأنا) والصراع بين الغرائز الجنسية وبين غرائز (الأنا) يؤدي إلى الصراع العصابي ، والكبت[*] هو نتيجة تفوق غرائز (الأنا) .

ويرى « فرويد» أن الغريزة الجنسية تؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد، وقد لاحظ أن المشكلات الجنسية تكمن وراء الكثير من الاضطرابات النفسية وقام ببحوث أدت إلى الكشف عن علاقة اضطرابات الغريزة الجنسية بالأمراض النفسية[٣] .

(*) الكبت : هو عملية لا شعورية مقتضاها منع الميول والدوافع الكائنة في اللاشعور من أن تظهر في حيز الشعور.. (معجم مصطلحات علم النفس مادة: الكبت، الكبح، الكظم) وهو في مفهوم فرويد ليس مجرد الامتناع عن إتيان العمل الغريزي التي تدفع إليه الطاقة الشهوية – كما هو شائع – وإنما استقذار العمل الغريزي هو الذي يولد الكبت .

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١١٠ و١١١ .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) المرجع نفسه.

ويُلاحظ أن فرويد استخدم اصطلاح (جنسي) بمعناه الواسع مشيراً إلى أي نوع من النشاط الجسمي الذي يجلب اللذة بإشباع الحاجات الجسمية، واعتقد فرويد أن النشاط البشري ينبع من دافع غريزي جنسي في طبيعته، وهو الطاقة الجنسية أو ما أسماه الليبيدو[١] الذي يدل على المظاهر الدينامية للغريزة الجنسية ويلاحظ أيضاً أن فرويد قد أكد أن كثيراً من العوامل الاجتماعية ترجع إلى دوافع غريزية، فالاضطرابات العاطفية ترجع إلى الغريزة الجنسية، والإبداع يرجع إلى إعلاء الغريزة الجنسية، والعدوان والحرب يرجعان إلى غريزة الموت[٢] .

نقد نظرية فرويد:

هذا موجز لآراء فرويد في الغرائز – الغريزة الجنسية بشكل خاص – وقد نقد فرويد كثيراً من علماء النفس والاجتماع، واهتمامنا بنقد آرائه، ينطلق من أن هذه الآراء والنظريات أخذت صفة الحقائق، وأثرت تأثيراً كبيراً في الفكر الغربي أولاً وفي مجتمعاتنا الإسلامية ثانياً.. ولأثرها الكبير في التحلل الأخلاقي وتفكك الأسرة والمجتمع في الغرب.. ويمكننا إيجاز نقاط النقد فيما يلي:

١ – إن نظرية فروية محدودة، ولا تمثل الحقيقة كلها، يقول « الكسيس كاريل» إن ملاحظاته (أي فرويد) تتعلق بالمرضى على الأخص، ومن ثم يجب ألا تعمم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وبخاصة أولئك الذين وهبوا جهازاً عصبياً قوياً وسيطرة على أنفسهم، وبينما يصبح الضعفاء المعتلوا الأعصاب غير المتزنين أكثر شذوذاً عندما تكبت شهواتهم الجنسية فإن الأقوياء يصيرون أكثر قوة بممارسة هذا الشكل من الزهد»[٣] .

---

(١) الليبيدو: أو الطاقة الحيوة أو الجنسية أو الدافع الحيوي (موسوعة علم النفس – عبد المنعم الحفني) .

(٢) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ١١١.

(٣) الإنسان ذلك المجهول ، الكسيس كاريل ص ١٦٧.

إذاً فإن نظريات فرويد في الغريزة الجنسية خاصة استمدَّها من تجاربه على المرضى ، ولم يستمدها من الأصحاء . ولا صحة لقوله أن المرض حاصل في نفس الإنسان من كبت نزعات « الليبيدو» وتحت ضغط المجتمع .. إذ إن كبت الشهوات الجنسية عند الأقوياء يصيرون بها أكثر قوة كما يقول (كاريل).

٢- إن الليبيدو وأصل معناه عند فرويد « الحب » قد وسع فرويد نفسه دلالته حتى جعله يضم مختلف مظاهر النشاط الفردي والاجتماعي .. وهذا شبيه ببعض النظريات الميتافيزيقية (ما وراء الطبيعة) التي تحاول أن تشرح كل شيء بالاستناد إلى فكرة واحدة، كما صنع قديماً (طاليس[*]) حين رد أصول الأشياء إلى الماء. وكما صنع أمبدوقل حين فسر كل شيء بالبغض[1] .

٣- حصر المحللون النفسيون – ومنهم فرويْد – جميع أبحاثهم في كهوف مظلمة من اللاشعور. فبقيت معظم أفكارهم غامضة وغير مقنعة. يقول العالم النفسي السويسري « كلا باديد » في ذلك : « يلوح لي كأن علماء التحليل النفساني في مجال علم النفس أشبه ما يكونون بالبوم، إنهم يرون في الظلام فلهم في ذلك ميزة كبيرة ، إذ يرون ما لا يرى غيرهم، ولكن هذه الميزة مقترنة بعيب وهو أنهم اعتادوا الظلام، فهم في بعض الأحيان لا يطيقون مواجهة النور، ولا يستطيعون أن يعرضوا أفكارهم بجلاء عرضاً منطقياً يقنع الذين على خلافهم، ولم يسبق الاقتناع إلى قلوبهم، وقد ضيَّعوا حس التفريق بين الألوان المتقاربة فلا يميزون الفرضية الغربية من الاستنتاج الجائر»[2] .

٤- تأثر فرويد بأساطير اليونان القدماء، وبالأساطير والقصص الإسرائيلية الإباحية التي تلصق العار حتى ببعض أنبيائهم زوراً وبهتاناً، وجعل من هذه

(*) طاليس وامبدوقل من فلاسفة اليونان القدماء .

(١) تمهيد في علم الاجتماع – د. عبد الكريم اليافي ص ٣٦٤ – ٣٦٥.

(٢) المرجع نفسه .

الأساطير أساساً بنى عليه جانباً من نظريته.. كأسطورة أوديب التي جعل منها عقيدة موجودة عند كل إنسان حسب زعمه يكره بسببها أباه كرها لا شعورياً، وما قيمة علم أقيم على الأساطير والقصص الكاذبة»[1] .

٥- تقوم مدرسة التحليل النفسي على افتراض وجود (حرب) لا شعورية، أو صراع وخلاف عميق بين نزوات الإنسان الغريزية أو مطامعه الفردية.. والأخلاق والنظم الاجتماعية . وهذا الخلاف إما أن يؤدي – في زعمهم – إلى صراع نفسي وكبت وعقد وأمراض نفسية، وإما أن يؤدي إلى التواء أو انحراف أو نفاق يظهر في اتخاذ (قناع) كاذب يصطنعه الفرد لكي يتقنع به تجاه المجتمع. مع أن الفرد هو الذي أقر هذه النظم الاجتماعية، فالمسلم مثلاً هو الذي اقتنع بالعقيدة التي تنظم حياة المجتمع برغبة، ودافع عنها لأنها تدافع عن مصالح المجموعة التي ينتمي إليها. وبها صلاحه وصلاح المجتمع وتنظم علاقاته الجنسية وغير الجنسية. فكأن مدرسة التحليل النفسي أقامت الحياة النفسية برمتها على افتراض وجود التناقض بين الفرد والمجتمع، فكان من حصادها، في أوروبا، أن أقامت صراعاً، بل ثورة عارمة، ضد الفضيلة والأخلاق، وجعلت زمام المبادهة في هذا الصراع بيد النزعات الحيوانية الغريزية، وأيدها العلم، حسب زعمهم، العلم الكاذب، الذي قام كما رأينا على الأحلام والأساطير والأوهام ونبت في تربة المرض والأسقام، وفي مجتمع منحل منهار[2] .

٦- وإن مما يؤسف له أن تنتقل نظرية فرويد إلى الفكر الإسلامي وأن تكون مادة تدرس في الجامعات والمعاهد.. وهي بهذا الشكل الذي يعتورها النقص من كل جانب، وتحيط بها الشبهات من كل جانب، مع أن دراسات متعددة قد خرجت تكشف زيف فروض كثيرة مما طرحه فرويد واستسلم الفكر الغربي له:

---

(١) مدخل إلى علم النفس – الأستاذ النحلاوي – ود. عرقسوسي ص ١٠٦.

(٢) المرجع نفسه .

أ) من ذلك ما ذكره الدكتور « ناتان كلامين » من أن نظرية فرويد في العلاج النفسي والعقلي (وهي النظرية التي ترجع جميع الاضطرابات النفسية إلى أسس جنسية بحتة) هذه النظرية ليست سوى مِعْوَل هدام لعقول الشباب، ومخدر مميت للنفوس، ورجح الدكتور كلامين إلى أن البيئة هي المسؤول الأول عما يصيب الإنسان من انحراف نفسي وعقلي[١] .

ب) وكذلك أجرى الدكتور إسكندر توماس عدداً من البحوث بوساطة فريق من الأطباء النفسيين، انتهى منها إلى أن نظرية فرويْد لم تكن مطلقة وأن إقبال رجال التربية على لوم الآباء بشأن توجيه أبنائهم كان من أكبر الأخطاء ، ويقول العلماء في تقريرهم: إنهم درسوا حياة ١٥٨ طفلاً غير منحرفين بينهم الفقراء والأغنياء فوجدوا أن الأولاد أصحاء مستقيمين بالرغم من قيود النظم القاسية في تربيتهم وذلك يدلك على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل[٢] .

ج) وحتى العلاج النفسي المبني على نظرية فرويد في التحليل النفسي[٣] أثبت العلماء عدم فاعليته وجدواه. فالدكتور « هاري وانيستوك » وهو من اللجنة الأمريكية للتحليل النفسي كتب يقول : « إن الجمعية لا تزعم شيئاً يتعلق بالفائدة العلاجية للتحليل ، ونحن غير مسؤولين عن المزاعم التي تصدر من أفراد قد تتغلب حماستهم على معرفتهم » ويضع الدكتور « إدوارد جلوف » – وهو من أكبر المحللين النفسانيين في بريطانيا – « القوة العلاجية للتحليل ضمن قائمة الافتراضات

---

(١) مفاهيم العلوم الاجتماعية – أنور الجندي – ص ١٧١ (دار الاعتصام ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م).

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ أيضاً .

(٣) إن التحليل النفسي الذي ينبثق من (سيجموند فرويد) يقوم على أساس النظرية القائلة إن كثيراً من السلوك الإنساني له دوافع كامنة في النفس، وإن التدريب الطويل كفيل بأن يجعل المحلل النفساني بارعاً في استخلاص وتفسير هذه الدوافع الكامنة عن طريق تداعي المعاني . إذاً فالعلاج النفسي مبني على (بحث أسباب السلوك) .

غير الجائزة » وإن (هـ . ايسنك) أستاذ علم النفس بجامعة لندن يقول: لم يقدم التحليل النفسي أي دليل عملي لا يقبل الشك على أنه نجح في علاج الأمراض النفسية.. وأن فرويد نفسه في أواخر أيامه أخذ تشاؤمه يزداد حيال الإمكانيات العلاجية للفنون التي وضعها هو بنفسه»[١] .

٧ – وأخيراً تتضح الصورة لنظرية فرويد، عندما يتبين لكل ذي بصيرة أن غاية فرويد البعيدة هو إفساد المجتمع، وانهيار أخلاقه وذلك بتمجيده للإباحية وإطلاقه عنان الشهوات البشرية للرجل والمرأة تنفيذاً لمخططات يهودية خبيثة. ويشهد على ذلك أحد كتاب الغرب هو « لوكهارت» في كتابه « اليهود المعاصرون» إذ يقول: « إن الأدب العالمي قد يكون مديناً لبعض كتاب اليهود، ولكن شرهم أكثر من نفعهم وإثمهم أكثر من خيرهم.. وأن فرويد قد أوجد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الإغريقية، ومجّد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلا بجسدهما ما شاء»[٢] .

الغريزة في الإسلام:

ما زال العلم الإنساني قاصراً على التوصل إلى حقيقة الغرائز ودورها في حياة الإنسان، وما الآراء التي أشرنا إليها آنفاً لكل من (مكدوجل) و(فرويد) إلا حدوس أو افتراضات شخصية يحكمها الهوى..

إذاً ليس أمام الإنسان من حقائق حول هذه الأمور النفسية إلا ما قدمه الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها، والسنن الثابتة التي لا تتغير ..لأن الله – عز وجل- مصدر هذه الحقائق ... والله أعلم بمخلوقاته وما غرز فيها من قوى باطنة كي تستطيع الحياة، وتحقق مفهوم الخلافة الصحيحة في هذه الأرض قال تعالى:

---

(١) مجلة المختار من ريدرز دايجست – آذار ١٩٦٠ – مقال: اعرف عن التحليل النفسي.

(٢) مفاهيم العلوم الاجتماعية – أنور الجندي – ص ١٦٥.

﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ ﴾ [النجم ٣٢] وقال تعالى: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك ١٤] وقال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠]

فالله – عز وجل – خلق الإنسان، وخلق فيه من الغرائز ما يحفظ ذاته ونوعه وقد أشار القرآن إلى بعض هذه الغرائز الفطرية .. قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٤]

من هذه الآية الكريمة نتبين أن هناك بواعث فطرية خفية ، فطر الله الناس عليها لتؤدي دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها، وصياغة الفعل للمجهول « زين للناس» تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل[١] ، وأن المزيِّن هو الله تعالى لا الشيطان كما هو عند بعض المفسرين[٢] ، والغرائز في الإنسان كثيرة ومتنوعة. ومنها الأساسية ومها الفرعية المرتبطة بالأساسية.. والمتولدة عنها.. ومن خلال استقرائنا لموضوع الغرائز . نرى أن نصنف الغرائز في الإنسان إلى خمس غرائز أصلية وأساسية، تتفرع منها مجموعة من الغرائز الأخرى.. وهي كما يلي:

أولاً: غريزة البحث عن الطعام: وهي من أقوى الغرائز العضوية والحيوية (البيولوجية) في الإنسان. خلقها الله – عز وجل – في الإنسان ليحافظ على ذاته.. تولد هذه الغريزة مع ولادة الإنسان، وتموت بموته، وهي أقوى من الغريزة الجنسية، إذ إن الإنسان قد يصبر على عدم إشباع الغريزة الجنسية، ولكنه لا يستطع أن يصبر

---

(١) ارجع إلى الظلال ج ٣/ ٣٧٣ ط دار الشروق.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ، لما نزلت « زين للناس حب الشهوات» قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا ، فنزلت « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم» الآيات . (ارجع إلى تفسير الطبري المجلد الثالث ص ١٣٤) (تفسير سورة آل عمران).

عن الطعام .. بالإضافة إلى أن الصوم عن الطعام وسيلة من وسائل القضاء على الشهوة الجنسية أو التخفيف من حدتها مؤقتاً إلى أن يتيسر للإنسان الزواج وإشباع هذه الغريزة .

قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء** »(١) .

ثانياً – غريزة الحياة: وهي من الغرائز التي خلقها الله – عز وجل – في الإنسان ليحافظ بها على ذاته ، ويتفرع منها غريزة المقاتلة، وغريزة الخوف، وغريزة الهرب. وغريزة الحياة غريزة قوية في الإنسان، وتستيقظ هذه الغريزة عندما يهدد حياة الإنسان خطر ما ، من إنسان آخر أو حيوان.

ثالثاً– الغريزة الجنسية: وهذه الغريزة في الإنسان تهدف إلى حفظ النوع الإنساني، وعن طريق إشباعها يتكاثر البشر.. وهي تستيقظ في سن البلوغ عند الإنسان، وقد شرع الإسلام إشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج .. لذلك حضّ الإسلام على الزواج المبكر.. وعدم هدر هذه الطاقة الحيوية في الإنسان.

رابعاً – غريزة التملك وحب المال: ويتفرع عنها غريزة السيطرة ، والطمع ، والبخل، وحب الظهور والزينة، والسلطان ، والجاه ... إلخ.

والآية الكريمة المذكورة آنفاً « زُيِّن للناس » تبين هذه الغريزة في الإنسان قال تعالى: ﴿ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ [آل عمران ١٤]

وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات ٨]

وقال تعالى: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر ٢٠]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .. ارجع إلى جامع الأصول ج ١١/ ٤٢٦ واللفظ لمسلم (كتاب النكاح – باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ...) .

إلا أن الإسلام سما بهذه الغرائز . كما سنرى في الفقرة الآتية.

خامساً – غريزة الاستعداد للتسامي: وهي الغريزة التي توازي جميع الغرائز السابقة في فطرة الإنسان، وتعمل حارسة للإنسان لئلا يستغرق في جانب واحد من حياته ويفقد قوة النفحة الإلهية ومدلولها وإيحاءها.

« والاستعداد للتسامي هو الاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من مزاولة إشباع الغرائز في الإنسان؛ الحد الباني للنفس والحياة، مع التطلع المستمر إلى ترقية الحياة ورفعها إلى الأفق الذي تهدف إليه النفحة العلوية، وربط القلب البشري بالملأ الأعلى والدار الآخرة ورضوان الله ، هذا الاستعداد يهذب الغرائز الأخرى وينفي عنها الشوائب، ويجعلها في الحدود المأمونة التي لا يطفى فيها جانب اللذة الحسية على الروح الإنسانية»[1] .

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٥]

تعديل الدوافع:

إن مسألة تعديل الدوافع أو إبدالها، أو إعلائها أصبحت لها أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، وخاصة في مجال علم النفس الاجتماعي الذي هو بدوره أساس مهم من أسس الحرب النفسية، التي تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الفرد والجماعة، وتوظيف ذلك لصالح من يشنها.. ومن المعلوم في علم النفس أن السلوك الغريزي لا يبقى ثابتاً عند الإنسان كما يبقى عند الحيوان – بل يخضع لكثير من التعديل ، حتى إن أفراد الجنس الواحد يَرْوون حاجة غريزية واحدة بأساليب كثيرة متنوعة بعضها مكتسب وبعضها مخترع وبعضها خاضع للظروف المتجددة بتجدد المدنية والحضارة[2] .

---

(١) ارجع إلى في ظلال القرآن ، لسيد قطب ج ٣ / ٣٧٣ ط دار الشروق .

(٢) ارجع إلى « المدخل إلى علم النفس » النحلاوي وعرقسوسي ج ٢ ص ٢٣.

ويمكن ، للتيسير، عرض أنواع التعديل للدوافع كالآتي[(١)] :

١- تعديل من الناحية الإدراكية، فبعد أن كانت الدوافع الغريزية تستثار بمثيرات طبيعية يمكن استشعارها بمثيرات غير طبيعية.. أو أن يفقد المثير الطبيعي كالظلمة مثلاً قدرته على إثارة الخوف ويحل محله مثير آخر غير فطري هو الخوف من العار مثلاً ، لإدراك الإنسان أنه ليس في الظلمة ما يخاف منه. وكذلك الخوف من الأصوات العالية فإن إدراك الإنسان لعدم ضرر الأصوات العالية في المناجم والمعامل الصاخبة يجعله لا يخاف هذه الأصوات.

٢- تعديل من الناحية النزوعية.. وهذا النوع من التعديل واضح في حياة الإنسان، الذي ينزع بفطرته إلى نوع من السلوك لتحقيق دافع ما، لكن هذا السلوك لا يبقى ثابتاً عنده، فبدلاً من أن يروي الإنسان غضبه بالمقاتلة أصبح يرويه بالحيلة أو الاستهزاء أو الحطّ من قدر عدوه، أو بالحصار الاقتصادي أو بتدبير المؤامرات.. أو بأي سلاح من أسلحة الحرب النفسية كالشائعات والدعايات وغيرهما.. ومثل هذا يقال في باقي الغرائز ..

٣- تعديل بسبب استثارة غرائز مختلفة في آن واحد، فنجد السلوك الغريزي يتعدل بسبب ما يستثار معه من دافع أو دوافع أخرى في الوقت نفسه ، فمثلاً إذا وجدت ابنك قد أتلف شيئاً عزيزاً على نفسك، فالإتلاف يثير الغضب والمقاتلة، والابن يثير الوالديه والحنو ، فيكون السلوك في هذا الموقف سلوك عتب وتأديب لا سلوك ضرب أو توبيخ ..

---

(١) للإطلاع أكثر على موضوع تعديل الدوافع يراجع ما يلي:

أ- علم النفس وأسسه التطبيقية والتربوية – للدكتور عبد العزيز القوصي. ص ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ٢٦٥.

ب- علم النفس – للدكتور محمد خير عرقسوي وعبد الرحمن النحلاوي وعبد الكريم العثمان (ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٣) ١٣٩٣هـ .

ت- لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها للدكتور محمد أمين المصري (ص ٥٨، ٥٩).

٤ - تعديل ناشيء من ينظم الاستعدادات الغريزية وانفعالاتها حول شيء لتكوّن ما يسمى بالعواطف .. فيحول الإنسان دوافعه الغريزية إلى عواطف نبيلة سامية موجهة .. فالعاطفة استعداد مكتسب للانفعال تجاه موضوع معين والقيام نحوه بسلوك يتطلبه الموقف لإرواء الرغبات المنبثقة عن العاطفة.

وأبو حامد الغزالي - رحمه الله - له نظرات عميقة في هذا المجال، فهو لا يعترف بكبت الغرائز والدوافع، وإنما يقول بإمكان تعديلها وإعلائها، وذلك لأنه يعتبر مختلف الدوافع أساسية في الإنسان، ويعترف بكل ما في المرء من دوافع وميول.

ويبين الغزالي أن الشهوة والغضب والحسد والطمع والشهرة وغيرها من دوافع، لا تنقطع ما دام الإنسان حياً[1] .

وليس المطلوبُ القضاءَ على الغرائز وإماتتها بل ضَبطِها وتسييرها بمسار الشرع، وإن الشهوةَ والغضبَ لم يخلقْهما الله - عز وجل - كما يقول الغزالي «لتكونَ أسيرَهما ولكن خلقهما ليكونا من أسراك فتسخرهما للسفر الذي أمامك، تجعل أحَدهما مركبك والآخر سلاحك حتى تصيد سعادتَك»[2] .

واعترافُ الغزالي بدوافع الإنسان يتفق مع الإسلام، الذي يأخذ مما غلَّبناه من أن معنى الفطرة[3] : هو وجود الاستعدادات المختلفة في الإنسان وذلك استناداً

---

(١) الإحياء ج ٣ ص ٢٩.

(٢) كيمياء السعادة للغزالي ص ٥٠٤.

(٣) إن كلمة الفطرة تأخذ عند الغزالي مفاهيم متعددة قد تبدو متعارضة . فهو أحياناً :

أ) قد يقصد بها التصديق بالربوبية ، بمعنى أن يولد الإنسان وهو بالفطرة مقيد بالرغبة لمعرفة الله وهو المعنى الذي يقصده الفقهاء حين يعرفون الإسلام بأنه دين الفطرة «كل مولود يولد على الفطرة ... الحديث» .

ب) وقد يقصد بالفطرة قبول الخير والشر وخلو القلب عن كل نقش .

ت) كما قد يقصد بها الاعتدال ، لأنه الغالب على أهل المزاج . ومهما يكن من أمر فإن هذه الأقوال لا تناقض القول بأن في النفس مجموعة من الميول والدوافع الفطرية والمكتسبة (الدراسات النفسية • عبد الكريم العثمان ص ١٦٨ حاشية). والفطرة عند ابن تيمية هي الإسلام، أو هي الاستعداد للإسلام، وقد استفاض في الحديث عن الفطرة في كتابه: (درء تعارض العقل والنقل).

على أن الإنسان تألف من طبيعة أرضية وأخرى سماوية لقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر ٢٨-٢٩]

فالأصل الأرضي يتمثل بالطين، أما الأصل العلوي فإنه روح الله[١] .

والدوافع التي تقوم على كل من هاتين الطبيعتين مطلوبة، لأن كيان الإنسان مجموع جسمه وعقله وروحه، إذا صح لنا أن نفصل بينها ، فهي كيان مترابط واحد ممتزج اسمه الإنسان .

والعقل يقوم بمهمته في مساعدة الإنسان من أجل حصوله على المعرفة، والوسائل الصحيحة، للإجابة على نوازع الغريزة، كما يمثل النزعة الدائمة إلى المعرفة والتي يبدو كأنها في ذاتها هدف مقصود، عن طريقها ترتقي الحياة وتتقدم . وهي تحقق أهدافها الأصلية في الوقت ذاته، وهكذا يكون الرقي باعثاً أصيلاً في الإنسان وينزع إليه نزوعاً ذاتياً[٢] .

ويلح الغزالي على أن للدوافع مهما نزلت درجتها طبيعة مزدوجة ، أي أنها: إما أن تكون وسيلة لارتقاء الإنسان وإما أن تكون سبباً في ضياعه. وذلك إنها إما أن تسير متزنة يُوَجِّهُهَا هدفٌ واحد، فتقوم بمهمتها على وجه صحيح ولا يكون هنالك ما يدعو إلى محاولة للتعديل أو للتصعيد، وإما أن يُسيطرَ أحدُ الدوافع على الأخرى، فيفرض سلطانه عليها، وتنحرف الميول عن الهدف الصحيح، وتكون مسوقة لعمارة الدنيا دون الآخرة[٣] ، ويصبح المرء عبداً لها مؤتمراً بأمرها[٤] ، كما يصبح العقل خادماً لها[٥] .

---

(١) الدراسات النفسية – ١٩٦.

(٢) الإنسان بين المادية والإسلام – محمد قطب – ص ٨٤.

(٣) الإحياء ج ٣ ص ٩.

(٤) الإحياء ج ٣ ص ٦٤.

(٥) الحياء ج ٣ ص ٤٥.

فالميلُ إلى الطعام إذا انقلب إلى شهوة للطعام، فإنه يستعبد الإنسان ويسيطر على تفكيره وسلوكه ويقعد به عن الارتفاع، وكذلك الأمر بالنسبة لشهوة الجنس وغيرها.

والخطر الشديد أن هذه الدوافع إذا استحكمت يرتبط بعضها ببعض وتتآزر كلها لتحطيم الإنسان؛ إذ تَتْبَعُ شهوة الطعام «شهوةَ الفرج وشدةَ الشبق إلى المنكوحات، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات والمطعومات. ثم يتبع استكثارُ المالِ والجاه أنواعَ الرعوناتِ وضروب المنافسات والمحاسدات»[1].

وحين تصبح الشهوات على هذا الشكل من السيطرة فإنها تصرف الإنسان عن كل خير، وليس هَم الحياة في نظر الغزالي مجرد أداء المطالب الحيوية وما يتعلق بها من رغبات وشهوات، فهو لا يرضى للإنسان أن يكون كالحيوان، مقيداً بحدود غريزته التي تفرض عليه كل حركاته وسكناته، فالإنسان حر إن لم يكن بالدوافع الغريزية المفروضة عليه، فبالطريقة التي يستجيب بها لتلك الدوافع والمدى الذي يذهب إليه حين يستجيب لها[2].

وهكذا فالإسلام ينكر خروج الدوافع عن طريقها الذي رسمه الله لها؛ طريق حفظ الإنسان وحفظ الحياة، ودفع كل أسباب الهلاك والوصول إلى الله تعالى.

وقد ذم رسول الله ﷺ عبودية الغرائز للإنسان ومنها عبودية المال والشهوة وحب المظاهر الفارغة، وحَضَّ على الجهاد في سبيل الله. عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عبد الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبدُ الخميصة، إنْ**

---

(١) الأحياء ج ٣ ص ٧٧.

(٢) الدراسات النفسية ص ١٩٩ عبد الكريم العثمان.

أُعطِيَ رَضِيَ وإنْ لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعِس وانْتَكَسَ، وإذا شيك فلا انتقش، طُوبى لعبدٍ آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسُه مغبرةٍ قَدماه..»[1].

ثم إن الإسلام يقيم توازناً دقيقاً بين مختلف الدوافع. ويكره التطرف فلا هو يكبتها ويقضي عليها، ولا هو يرضى باستعبادها للإنسان.

فالقرآن الكريم يوصي الإنسان بحالة الوسط بين الإفراط والتفريط قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الأعراف ٣١] ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان ٦٧]

وكذلك يبين القرآن الكريم، أن الدوافع فطرية ومغروزة في الإنسان منذ أن خُلق . قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الروم ٣٠] وقال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ [آل عمران ١٤] وقال تعالى:﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات ٨].

إلا أن الله – عز وجل – بالإضافة إلى تقرير هذا، يوجه الإنسان إلى الملأ الأعلى حتى لا يسرف فيما فُطرَ عليه، وإن الآخرة هي الحياة الحقة. قال الله تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف ٤٦] ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ ﴾ [القصص ٦٠] ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى ١٦-١٧] .

وهكذا يوجه الإنسان المؤمن غرائزه ودوافعه فيما يرضي الله تعالى: وفي الطريق المستقيم الذي رسمه الله تعالى للناس أجمعين.. طريق الإسلام العظيم، وقلنا إن الإسلام يكره التطرف في كل شيء، ولو إلى أعلى ، كما يظن البعض ، لذلك منع الرهبانية التي تقوم على القضاء على كل نوازع الجسد. قال تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ ﴾ [الحديد ٢٧] .

---

(١) رواه البخاري – باب الحراسة في الغزو في سبيل الله – فتح الباري (ج ٦ ص ٨١ السلفية).

ورد رسول الله ﷺ على نفر من الصحابة أرادوا القضاء على بعض دوافع الإنسان في الطعام والنساء، قولهم، مبيناً لهم طريق الإسلام الصحيح كما ورد في الحديث الشريف: « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا، وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدُهم، أما أنا فإن أصلى الليل أبدًا ، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا .. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم فقال: **أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساءَ فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

ومما لاريب فيه أن أفضل أسلوب تربوي لإعلاء الدوافع هو « ربط سلوك الإنسان بأهداف عليا للحياة الإنسانية، وتذكير الناس دائماً بهذه الأهداف كلما انحرفوا عنها. أو حطت بهم شهوات الجسد عن التوجه إليها.. إذ لابد من غاية أو بتعبير الغزالي من هَمّ يسيطر على القوى كلها، وبذلك تضطبع حياة الإنسان بهذه الأهداف وتتوجه الدوافع كلها في سبيل تحقيقها، وهذا ما يحقق رقياً وسمواً وتصعيداً دائماً»[٢].

« من أجل هذا يربط الغزالي الإنسان بغاية أساسية وهي الوصول إلى الله – عز وجل – ويذكره بهذا الهدف الأعلى دائماً، حتى يُوجه جميع إمكانياته وطاقاته ودوافعه من أجل تحقيقه»[٣].

وهكذا يكون الغزالي بتأكيده هذا على الهدف من السلوك قد سبق الكثير من علماء النفس الذين ألحوا على وجوب دراسة السلوك من خلال الأغراض والغايات، ويتجه البحث حينئذ إلى الغاية من السلوك وليس إلى سببه.

---

(١) متفق عليه – واللفظ للبخاري – كتاب النكاح – باب الترغيب في النكاح.

(٢) الدراسات النفسية – عبد الكريم العثمان – ص ٢٠٠.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٠.

والغزالي في هذا كله يبدو بعيداً عن عملية الكبت، ويمكن أن نُسمي طريقته في معالجة الدوافع باسم عملية الضبط، وهي تختلف عن الكبت. لأن هذا الاخير عملية قمع لا شعورية، في حين أن عملية الضبط عملية إرادية، وسلوك الإنسان هنا سلوك إرادي، يتميز بالقدرة على الكف – وتركيز الانتباه في اتجاه معين مرسوم، وذلك لتحقيق إعلاء الميول، وعناصر هذا الضبط حاضرة في شعورنا ولذلك لا يترتب عليه كبت ما، وهو عملية واعية لا تتعرض للشهوة في منبتها – والمهمة الأساسية لها التنظيم والتصعيد[١].

بالإضافة إلى ذلك فإن الكبت يتولد لا شعورياً من استقذار العمل الغريزي نفسه، بينما عملية الضبط في الإسلام، فإنها تُسيّر العمل الغريزي في مسراه الصحيح، ولا تستقذره، بل ويثيب الإسلام عليه أيضاً.

قال ﷺ : « .. وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وِزْر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[٢].

وهكذا جعل الإسلام للعبد المؤمن ثواباً على تهذيب دوافعه وإروائها بالطريقة الشرعية، وما يقال عن الغريزة الجنسية يقال عن شهوة الطعام، وشهوة المال وغيرها من الغرائز والدوافع.

فالإسلام لم يكبت الدوافع بل صعّدها ووجهها، بل حرص على تحقيقها بشكل كامل غير قابل للفناء في الجنة التي وعد الله المتقين الذين يوجهون دوافعهم لإرضاء الله تعالى ويستعملونها في حدود شريعة.. قال تعالى بعد أن قرر وجود هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) وهو جزء من حديث رواه مسلم بطوله في « كتاب الزكاة » باب « كل نوع من المعروف صدقة».

الشهوات في الإنسان:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾[آل عمران ١٤] قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [آل عمران ١٥]

على هذا الأسلوب النفسي الرائع في تجميع الدوافع الإنسانية والطاقات البشرية وتوجيهها واستسلامها لله – جل جلاله – تربى الجيل الأول من المسلمين بحيث أصبحوا جيلاً قرآنياً فريداً ، لم ينشأ مثله في قرون القرون.

عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : «**فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً – ثم إن بعدكم قوماً يَشهَدون ولا يُستَشْهَدون، يَخونون ولا يُؤْتمنون، ويُنْذرون ولا يَفون، ويَظْهَر فيهم السِّمن**»(١).

والصور الواقعية التي تشهد بذلك كثيرة جداً، لمن يقلب صفحات التاريخ وتاريخ الصحابة بشكل خاص.. باعتبارهم – رضي الله عنهم – هم النقلة الأولى. والصورة الثانية للإنسان الجاهلي بعد أن آمن وأسلم لله.

أما ما نشاهده اليوم من استيقاظ الشهوات، واستعبادها للإنسان بحيث أصبحت وثناً يعبد من دون الله، فهو بسبب بُعْدنا عن مبادئ الإسلام العظيم، وعن المحجة البيضاء التي تركنا رسول الله ﷺ عليها.. كتاب الله وسنة نبيه ... فكان هلاكنا... وذُلّنا الذي نعيش في ظلاله.

---

(١) رواه البخاري – فتح الباري – كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ – ج ٧ ص ٣ رقم ٣٦٥٠ (ط السلفية).

المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في السلوك:

عرفنا آنفاً أن السلوك حركة أو عمل يتكون في البيئة الاجتماعية.. وفي هذه البيئة مؤثرات كثيرة تؤثر فيه. وتدفعه إلى تحقيق هدفه. وقد يستجيب الفرد لهذه المؤثرات أو لا يستجيب، تبعاً لقوة المؤثر، وكذلك تبعاً لوعي الفرد، ونُضجه.

ومن هذه العوامل المؤثرة في سلوك الفرد، على سبيل المثال لا الحصر، التربية التي يُنشَّأ عليها الفرد ، ثم العقيدة والثقافة، ثم الرأي العام وأخيراً الإعلام وأشكاله المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون)، وكتاب، وصحافة.. إلخ وسنرى أن هذه العوامل مجتمعة تستعملها الحرب النفسية الحديثة لتحقيق مآربها في تغيير سلوك من توجه لهم.

١- التربية: في المعجم الفلسفي .. تعرف التربية بما يلي: « التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله. أو هي كما يقول المحدثون : تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً.

تقول : ربّيتُ الولد، إذا قويت ملكاته ، ونميت قدراته، وهذبت سلوكه، حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة.

وتقول : تَربَّى الرجلُ إذا أحكمته التجارب ونَشّأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمّى شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على مؤالفه الطبيعة، ويجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتعد التربية ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها»[1].

---

(١) المعجم الفلسفي - جميل صليبا - (١/ ٢٦٦) وقد أقر هذا التعريف مجمع اللغة العربية بمصر. ولزيادة الإطلاع على معاني التربية ارجع إلى مدخل إلى التربية في ضوء الإسلامية للأستاذ عبد الرحمن الباني (ص ١٥) نشر المكتب الإسلامي.

والمجتمع هو الذي يقوم بمهمة التربية، ويُعِدُّ الفردَ سلوكياً وفكرياً للحياة، وأصغر خلية اجتماعية الأسرة، لذا كان للأبوين الدور الكبير في هذه المهمة الخطيرة.

يقول الإمام الغزالي: «الصبيُّ أمانةٌ عند والديه، وقلبُه الطاهرُ جوهرة نفسية ساذجة خالية من كلِّ نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش ، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخيرَ وعُلمه نشأ عليه، وسعِد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُوِّد الشر وأُهمل إهمال البهائم شَقي وهَلَك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له وقد قال الله – عز وجل – ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم ٦]»[(١)].

ويقول ابن قيِّم الجوزية: « ومما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بأمر خُلقه فإنه ينشأ على ما عوّده المربي في صغره، ولهذا تجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها»[(٢)].

والتربية لابد لها من أساس فكري يقررها، وعقيدة توجهها وباختلاف المجتمعات البشرية تختلف عمليات التربية، وهذا مشاهد في سائر العصور ولدى الشعوب والأمم كافة.

والعقائد تتفاوت في صحتها، فالعقيدة السليمة أساس للتربية الصحيحة، ومن هنا صح أن نقول إن للتربية أساساً دينياً، وحديث رسول الله ﷺ يقودنا إلى هذه الحقيقة العلمية التربوية، وذلك حيث يقول: « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة،

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٦٩) ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) تحفة المودود بأحكام المولود ص ٢٤٠-٢٤٤ تحقيق الشيخ عبد القادر الأناؤوط – مكتبة دار البيان بدمشق ١٣٩١/ ١٩٧١ دار الفكر ط ٢ – ١٣٩٢هـ.

فأبواه يهودّانه وينصرانه ويمجّسانه، كما تُنتجُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ، هل تُحِسُّون فيها من جَدعاء؟»[١].

« فالمولود يولد على الفطرة السليمة وهي الاستعداد للإسلام، ولكن أبوية، إذا كانا مجوسيين - يعبدان البقرة أو النار -ما يزالان يأخذانه بتربية تُمجّسُه، وبتعبير آخر إن فكرتهما المجوسية توجه تربيتهما لطفلهما، وكذلك إذا كانا يهوديين فإنهما ينحرفان به بنوع آخر من التربية إلى اليهودية، وهكذا الأبوان النصرانيان... وهكذا كلُ أسرة، تُنشِئ أولادها على عقيدتها ودينها»[٢].

ولأهمية دور التربية في التأثير على سلوك الأفراد والمجتمعات، لجأ الغرب الصليبي في أوائل هذا القرن إلى التربية لتغيير سلوك الفرد في المجتمعات الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن دينهم ليسهل السيطرة عليهم بعد ذلك. وما مهمة المدارس والجامعات التبشيرية في البلاد الإسلامية إلا هذه المهمة.

يقول « محمد أسد »[٣] في كتابه القيم « الإسلام على مفترق الطرق» : « إن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلوا الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام»[٤].

---

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب القدر - باب معنى كل مولود يولد على الفطرة - ومعنى تنتج (بفتح التاء الثانية) تولد.
وانظر مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام - عبد الرحمن الباني - ص ٣١- المكتب الإسلامي - ط ١٤٠٠هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محمد أسد - مهتدي مسلم، نمساوي الأصل، كان يدعي ليوبولد فايس، ومن مؤلفاته أيضاً الطريق إلى مكة (وفي طبيعته الحديثة: الطريق إلى الإسلام) نشر دار العلم للملايين - بيروت.

(٤) ص ٦٧ - ترجمة عمر فروخ - دار العلم للملايين ١٩٧٧م.

ويقول أيضاً: « إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الناشئة المسلمة. ومثل هذا – ولكن إلى حد أبعد – يصدق على التعليل الأوربي للتاريخ العام، إذ لا يزال الموقف القديم فيه « رومانيون وبرابرة» يظهر بجلاءٍ ثم إن لمثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً ، ذلك أن يدلل على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء، جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، وهكذا يمكن خلق نوع من التبرير الأدبي لسعي الأوروبيين إلى السيطرة وإلى القوة المادية»[1].

وليس هدفنا هنا تبيان الغزو الفكري الغربي للمجتمعات الإسلامية ومراميه البعيدة لأن هناك كتباً توسعت في هذا الأمر، ولكننا نريد أن نوضح الأهمية الكبيرة التي أولاها الغرب الصليبي للتربية والتعليم في البلاد الإسلامية، والتأثير على الأفراد والمجتمعات فكرياً وعقيدياً.. مما لا نزال نعاني من ويلاته حتى الآن.

وقد زاد أوار المعركة الفكرية بين الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الإسلامي بعد أحداث الحادي عشر من « إيلول عام ٢٠٠٠ وغزو الأخيرة العراق ، باسم الحرب على الإرهاب ، وتحاول فرض سياستها في التغيير الثقافي والتعليمي في الدول العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة .. حيث تعتقد أن المناهج الحالية هي التي ولدت الإرهاب الذي غزا أمريكا في عقر دارها.. وهي تعلم جيداً أن المملكة لا يد لها في تفجير مبنى التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية.. ولكن العداء للإسلام والتربية، هو الدافع الحقيقي للحرب النفسية التي تشنها ضد العالم العربي والإسلامي.. وللمملكة خاصة بصفتها بلد الحرمين الشريفين .. ومركز وحدة العالم الإسلامي .. فهي تريد ضرب الإسلام في عقر داره، وسلب المسلمين عقيدتهم وشريعتهم، ليسهل عليها الهيمنة

---

(١) المصدر نفسه ص (٧٤، ٧٥).

عليهم، وسلب ثرواتهم وعقولهم، وسنورد تصريحات المسؤولين حول هذا الموضوع في المكان المناسب من هذه الدراسة[١].

٢- العقيدة: مر معنا آنفاً حديث رسول الله ﷺ «ما من مولود إلا يولد على الفطرة.. الحديث».

هذا الحديث العظيم يبين لنا مقدار تأثير عقيدة الأبوين على سلوك الفرد في الحياة، وما يقال عن تأثير المجوسية واليهودية والنصرانية، يقال عن تأثير العقائد الحديثة مثل الشيوعية والمادية ومذاهب المنفعة واللذة وغيرها.. فكل عقيدة من هذه العقائد لها الأثر الكبير على سلوك الأفراد، وأخلاقهم في الحياة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن العقائد الجاهلية – غير الإسلام – تسعى دائماً بوسائلها المختلفة من إعلامية وتربوية إلى تطبيع حياة أفرادها وتوجيه سلوكهم.

وسنرى، بإذن الله، وبشكل مفصل، كيف أن الشيوعية جندت كل وسائلها ومؤسساتها الواسعة الإعلامية والتربوية في توجيه سلوك الأفراد داخل البلاد الشيوعية وخارجها، وكيف أن هذا التوجيه يبدأ من رياض الأطفال، بوساطة التعليم المشبع بالعقيدة الشيوعية الملحدة، حتى يصبح الفرد عضواً في الحزب الشيوعي. وحتى إن جهاز التعليم في روسيا أطلق عليه «جهاز دعاية».

وكذلك العقائد الغربية المعاصرة: من مادية، ومنفعة وذرائعية (برجماتزم) ووجودية، وغيرها.. كلها أسهمت بصياغة الفرد الغربي الحديث وطبعت سلوكه وفق أهوائها الزائفة عن الخير والحق.

وإن أهم الأحداث التاريخية والفكرية التي أثرت في الإنسان الغربي منذ مطلع هذا القرن الأخير، وأثرت في سلوكه وأخلاقه نقولها بإيجاز وهي:

---

(١) انظر التقرير المعنون: أمريكا تريد فرض التغيير الثقافي والتعليمي – وكالة الأنباء السعودية (واس) في ٣١/ ١٠/ ٢٠٠٢م.

١- الصراع بين العلم والكنيسة .. وانتصار العلم على خرافات الكنيسة، وكان من نتيجة ذلك ابتعاد الفرد الغربي عن الكنيسة، ولم يبق لها مكان في قلبه عدا الآثار الشكلية غير المجدية في حياته وسلوكه.

٢- نظرية فرويد في علم النفس.. هذه النظرية الباطلة قد أثرت تأثيراً عميقاً في فكر الإنسان الغربي وروحه، وساعدت على التحلل الأخلاقي وهبوط المجتمع في حمأة الفساد والإباحية.

٣- نظرية دارون في أصل الأنواع والتطور والآثار غير الأخلاقية المترتبة عليها، وخاصة ما روجه اليهود حول مذهبه، من تأويلات ما خطرت لدارون على بال « واستخدموه في القضاء على الأديان والقوميات والقوانين والفنون، مظهرين أن كل شيء بدأ ناقصاً شائها يثير السخرية والاحتقار ثم تطور. فلا قداسة إذا لديه ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا لمقدس من المقدسات»[1].

٤- الوجودية الملحدة التي أشاعت روح الانحلال والإباحية في أوروبا وفي فرنسا بشكل خاص على يد اليهودي أو نصف اليهودي (سارتر) ورفيقة عمره (زوجته غير الشرعية) « سيمون دي بوفوار» والتي لا تزال آثارها تنخر في أخلاق الإنسان الأوروبي حتى اليوم.

٥- مذهب المنفعة والذرايعية (البراجماتزم) كما نادى بها كل من وليم جيمس وجون ديوي وما ترتب على هذا المذهب من ترسيخ روح الأنانية الفردية، ومن تكالب على الدنيا، وابتعاد الإنسان الغربي عن معنى التعاون والإنسانية، والإخاء ... فأصبح كل إنسان لا يهمه إلا نفسه.. وتنمية أمواله ورفاهيته.

وكذلك العقيدة الإسلامية .. وتأثيرها في سلوك الإنسان الجاهلي عندما آمن بها مما لا يخفى على أي إنسان، فهي قد قلبت حياته كلها.. وأصبح إنساناً متميزاً

---

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون – ترجمة محمد خليفة التونسي – (المقدمة ص ٨٢) ط١٩٦١م.

بسلوكه، وأخلاقه، وعاداته، وما أبلغ تلك الكلمة التي قالها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، يرد بها على كفار قريش الذي لحقوهم إلى الحبشة محاولين إرجاعهم إلى الكفر بعد أن آمنوا مبيناً كيف كان سلوكهم الجاهلي وكيف أصبح سلوكهم الإسلامي.

قال رضي الله عنه « أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار ويأكل القويُ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بَعَثَ الله إلينا رسولاً منا نعرف نسَبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده، ونعبده ونخلعَ ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار. والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً...»[1].

كل هذه النماذج تدلل لنا على تأثير العقيدة في الفرد والجماعة..

٣- الرأي العام: قبل أن نعرف تأثير الرأي العام في السلوك لابد من إلقاء نظرة قصيرة على مفهوم الرأي العام هذا.. وقيمته في الحياة المعاصرة، والذي أصبح موضوعاً مهماً للكثيرين من السياسيين ورجال الدولة والعسكريين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وغيرهم، وخاصة في الدول الغربية .

- تعريف الرأي العام: للرأي العام تعريفات كثيرة ومختلفة، وسأختار أهمها، منعاً للإطالة:

- تعريف دوب: « الرأي العام ميل الناس نحو قضية ما، لو كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة»[2].

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٣٥٨) دار الفكر بيروت.

(٢) الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم (ج ٢ ص ١٢٣).

- ويرى (فلويد ألبورت) «إن الرأي العام تعبير جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف» .

وهذا التعريف يختلف عن رأي (دوب الذي يلتفت إلى ميول الناس بينما (ألبورت) يتحدث عن التعبير العملي لميول الناس، سواء كان هذا التعبير رأياً أو سلوكاً صريحاً واضحاً»[١] .

- ويرى آخرون[٢] إن «الرأي العام هو الحُكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما».

وحتى تصل الجماعة إلى هذا الحكم لابد من شروط أهمها:

أ- أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

ب- أن تكون القضية مثارة بكل حقائقها عن طريق القادة أو أجهزة الإعلام والدعاية أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

جـ- أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقة تماماً مع المعتقدات العامة للناس[٣] .

ويتكون الرأي العام نتيجة لعناصر كثيرة هي في الأصل مقومات تكون الرأي الفردي، والإنسان الفرد يتكون رأيه بعد انصهار العناصر التي تَصنع أفكاره وعواطفه، وقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأي يتكون خاضعاً للعوامل الآتية:

١- نتيجة النشأة والبيئة.

٢- أهمية تأثير الدين.

---

(١) المصدر السابق الصفحة نفسها.

(٢) محمد عبد القادر حاتم - وزير الإعلام بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م.

(٣) المصدر السابق ص ١٢٣.

٣- نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.

٤- نوعية الثقافة.

٥- تأثير وسائل الاتصال.

٦- أهمية المدرسة والبيت.

٧- أهمية التجارب الإنسانية الماضية.

٨- الظروف التي يعيش ويفكر فيها للمستقبل[1].

وهذه العوامل المكونة للرأي العام يمكن اختصارها إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

١- العقيدة وهي التي ترسم الضوابط والحدود والسلوكيات للأمة.

٢- البيئة - وتضم البيت والمدرسة والمجتمع بشكل عام، ومدى تأثيرها على الفرد.

٣- وسائل الاتصال ومدى قابلية الفرد للتأثر لها..

والذي يهمنا هنا أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة.. في المجتمعات الدولية بشكل عام ومن ثم أثره في المجتمع الإسلامي بشكل خاص.

أما ما يتعلق بالنقطة الأولى، فإن أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة يتضح بما يلي:

١- يحدد الرأي العام نشاط الفرد والجماعة وسلوكهما في المجتمع ، ويوحد بين الأفراد في السلوك الاجتماعي، نظراً لأنه ينبع عن عقيدة واحدة. وهذا الأثر يتضح أيضاً في المجتمع الإسلامي .. الذي يسير وفق العقيدة الصافية.

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٨.

٢- يتأثر سلوك القادة في المجتمعات الغربية باتجاه الرأي العام (إرادة الشعب).

٣- يحدد الرأي العام حدود التحريم والتجريم ويحدد المسؤولية الفردية والجماعية ويستلهم المشرع من الرأي العام أساس القانون وقواعد تنظيم الحياة وأساليبها في الجماعة.. وهذا الأثر يُرى في المجتمعات غير الإسلامية.. بينما في المجتمعات الإسلامية يعد القرآن والسنة هي أساس التحريم والتجريم والقانون وغير ذلك..

٥- يؤثر الرأي العام في تدعيم السلوك الجماعي السوي ومقاومة السلوك الجماعي المنحرف.

٦- يؤدي الرأي العام دوراً مهماً في عملية التغيير الاجتماعي.

٧- يحافظ الرأي العام على الروح المعنوية للجماعة ويرفعها، إذا كان قوياً متماسكاً يعبر عن الاتفاق الجماعي والوحدة العقيدية داخل الجماعة أو يثبطها إذا كان عكس ذلك[1].

ولكننا بهذا التصور، لأثر الرأي العام على سلوك الفرد والجماعة، نلغي الفرد واتجاهاته ودوافعه الخاصة ونمطه الفريد في الخبرة والشخصية، ولو كان هذا التصور صحيحاً .. ومطلقاً لما كان هناك مصلحون يُؤثّرون في المجتمع ويغيرون اتجاهه الفاسد إلى الصالح، خصوصاً إذا علمنا أن الرأي العام معرض للانحراف والأهواء، لذا كان من ميزة التصور الإسلامي أن هناك ضابطاً ثابتاً يوجه الرأي العام ويخضع له الجميع.. إنه سلطان الشريعة – وبمقدار ما يبعد الإنسان عن هدى الله وشريعة يخضع للأهواء والبدع الاجتماعية الصادرة عن الرأي العام الجاهلي.

أما إذا كان الرأي العام مهتدياً بهدي الله ، وسائراً في طريق شريعته فإنه يصبح قوة للمسلم، يشده إذا ضعف ويُقوّمه إذا أعوج – ويأخذ بيده إذا تاه عن الطريق.

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران ص ١٩٥ – ١٩٦.

لذا كانت قوة الفرد في المجتمع الإسلامي تعادل قوة الجميع وتعبير «البنيان المرصوص» في القرآن الكريم يوحي بهذه القوة الفردية الجماعية قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف ٤] ، وكذلك قول الرسول الكريم ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1].

أما إذا انحرف المجتمع عن طريق الله – فعلى الفرد المسلم أن يهتدي بهدى الله في قرآنه، وبسنة نبيه محمد ﷺ ، فهما الميزان الدقيق يزن به كل أمر يحتذى به في حياته الاجتماعية. قال ﷺ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتابَ الله وسنة رسوله»[2].

والحديث الشريف الذي ينهى المسلم أن يكون إمَّعَة يعبر عن هذه الفردية في المجتمع الضال « أو المنحرف عن هدى الله ..» .

قال ﷺ : «**لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنًا وإن ظَلموا ظَلَمْنا، ولكن وطّنوا أنفسكم إن أحسن الناس أنْ تحسنوا وإنْ أساؤوا فلا تَظْلموا**»[3].

وقد تكون هناك استجابة للتأثيرات الجماعية، إلا أن هذه الاستجابة ليست مطلقة، ولها حدود تقف عندها وبمقدار وَعْي المسلم وفَهْمِه لدينه، والتزامه في القول والعمل، بمقدار ما تكون استجابته ضعيفة أو معدومة لأيٍّ تأثيرات أخرى مخالفة لتصوره الإسلامي.

٤- الإعلام: الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة، وموضوعات دقيقة. ووقائع محدودة، وأفكار منطقية وآراء راجحة، للجماهير مع ذكر مصادرها خدمة للصالح العام.

---

(١) رواه (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى) – ارجع إلى الجامع الصغير ج ٦/٥ الألباني.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ في القدر رقم / ٣ باب النهي عن القول بالقدر بلاغاً.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه – سنن الترمذي جـ ٣ ص ٢٤٤ باب البر والصلة.

والإعلام يخاطب عقول الجماهير وعواطفهم السامية، ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع وينزع نزعة « ديمقراطية» وعلى هذا لابد أن تتسم العملية الإعلامية بالأمانة والموضوعية.

ويهدف الإعلام إلى النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتنويره وتثقيفه[(١)].

وهكذا نجد أن الإعلام عملية يترتب عليها تأثير فعلي في سلوك الفرد والجماعة.

والإعلام ظاهرة اجتماعية نشأت منذ أقدم العصور وفي شتى المجتمعات القديمة والحديثة.

ولقد تطورت وسائل الإعلام وفقاً لتطور هذه المجتمعات فانتقل الإعلام من مرحلة التبليغ من شخص إلى شخص إلى مرحلة التبليغ المتبادل من جماعات منظمة، ثم لمرحلة التبليغ الجماعي عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. أي الصحافة والمطبوعات والإذاعة والرائي وغيرها..

وإن عملية الإعلام تعد عملية اتصال بالجماهير، وقد حدد الدكتور « إبراهيم إمام» خمسة عناصر رئيسة لهذه العملية وهي:

١- المرسل: الذي يصوغ فكرته في رموز معينة وقد تكون الفكرة واضحة أولا تكون.

٢- التعبير الشكلي أو الصياغة. ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه.

٣- تفسير المستقيل لهذه الرسالة وفك رموزها.

٤- استجابة المستقبل للرسالة، ومدى تأثره بها وتقبله لها.

---

(١) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٢٩٧.

٥- يتمثل في الردود والأصداء الراجعة من المستقبل إلى المرسل[١].

والذي يهمنا في هذا المجال: هل للعملية الإعلامية تأثير مطلق في الفرد والجماعة، بحيث تغير سلوكهم، وأفكارهم؟ أم أن تأثيرها يتوقف على عوامل معينة؟

والواقع أن الفرد المستقيل للرسالة الإعلامية، ليس مجرد وعاء سلبي يفرغ فيه المرسل أفكاره ومعلوماته، ولكنه إنسان إيجابي يدرك ويفهم ويفسر ويقارن ويزن المعلومات التي تصله بميزان العقائد التي يؤمن بها، ومن ثم يحكم عليها، فقد يقبلها أو يهملها.

وعامل آخريهمّ في تقبل الرسالة الإعلامية وهو مدى ثقة الناس في مصدر الرسالة.. هل عرف بالكذب أم بالصدق؟ هل يبث أخبارًا بشكل موضوعي؟ أم عرف عنه اتجاهه المعروف، في تفسير الأنباء والظواهر بمنظار معين ؟. كل هذه الأمور تؤدي دوراً مهماً في مدى تأثير الإعلام على السلوك الفردي والجماعي.

وحتى يكون للرسالة الإعلامية أثر فعلي في السلوك، لابد من صفات مهمة أو عوامل تجعل الرسالة متيمزة عن غيرها في عصر انتشرت فيه وسائل الإعلام المختلفة. والتي تبث الغث والسمين، ويختلط فيها الحق مع الباطل، وتدس السم في الدسم .. وهذه الصفات هي:

١- **المضمون الحق والمنهج الصادق: ونقصد** بالمضمون الحق. هو الذي يستند على العقائد الصحيحة والمبادئ السليمة الواضحة، وليس ضرورياً أن يكون الإعلام معبراً عن عقلية الجماهير(٢) إذ إنَّ هذه الجماهير قد تضل عن الحق، إذا كانت

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام ص (٣٠، ٣١، ٧٠).

(٢) يعرف «أتوكروت» الألماني الإعلام بقوله: «الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه» ارجع إلى «الإعلام والاتصال بالجماهير» إبراهيم إمام ص ١١و «الإعلام له تاريخه ومذاهبه» عبد اللطيف حمزة ص ٢٣ (ط ١٩٦٥).

بعيدة عن هدى الله.. وبعيدة عن وحيه تعالى.. ولا نحتاج أن نُدلِّل على هذه النقطة ويكفينا نظرة على المجتمعات الغربية وما آلت إليه من الفساد والانحلال الخُلقي . والتفكك الأسري حتى نستطيع الحكم على ما فعله الإنسان في نَفْسِهِ.. وفي مجتمعه.

وإن المضمون الحق للإعلام لا يتمثل واقعاً إلا في الإعلام الإسلامي الذي أسس على العقيدة الإلهية الحقة[(١)]، قال تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾ [الإسراء ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [البقرة ١١٩] .

فالإعلام الإسلامي ينطق بالحق. ويسعى من وراء ذلك إلى الخير للفرد وللمجتمع ومنهجه الصدق والعدل، فهو لا يلجأ إلى الكذب والبهتان لتأييد وجهة نظره، حتى لو كان موجهاً إلى الأعداء.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة ١١٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة ٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأحزاب ٧٠]

وقال ﷺ : «رأيت رجلين أتياني قالا: الذي رأيتَه يُشَقّ شدقه فكذاب يكذب بالكذبة فتُحمَل عنه حتى تبلغَ الآفاقَ فيصنَعُ به إلى يوم القيامة»[(٢)].

ويلحق بهذه النقطة القاعدة الإعلامية الإسلامية العظيمة: هو التَّثَبُت من الأنباء وعدم إذاعة الخبر أو تقبله إلا بعد تبيان حقيقته.

---

(١) « الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» مجموعة محاضرات . في أسبوع نظمته الندوة العالمية للشباب الإسلامي بالرياض – محاضرة الأستاذ زيد العابدين الركابي – ط ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) رواه البخاري من (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين» وما ينهى عن الكذب « ج١٠ ص ٥٠٧ رقم ٦٠٩٦» (فتح الباري) وهو جزء من حديث طويل رواه البخاري في كتاب الجنائز.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦][١].

٢- **الوسيلة الناجحة**: وهي من عوامل نجاح الرسالة الإعلامية، والإعلام المعاصر أصبح مجموعة أجهزة ووسائل اختصرت مساحات المكان ومسافات الزمان، وخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن.. ومن هذه الأجهزة، المذياع والرائي (التلفزيون) والصحافة، والكتاب، والبريد، وغيرها ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليماً إلا بشرطين[٢] :

(أ) الكفاءة التِقنيّة.

(ب) القضية المختارة بعناية.

في الكفاءة لابد من التخصص الفني بمعناه العلمي والجمالي، واختيار القضية يجب أن يتلاءم مع المجتمع ومستواه الثقافي، والفكري، وكذلك عدم نسيان القضايا التي تهم الناس في الحياة المعاصرة.

بالإضافة إلى النواحي الجمالية في عرض المضمون الإعلامي، وجذب انتباه الجمهور وإثارته، وتحريك الإحساس الجمالي، الذي هو فطرة في الإنسان للدخول إلى نفوس الناس وعقولهم وأفكارهم.

٣- **ربط الرسالة الإعلامية بالحياة حاضراً ومستقبلاً**.. وتشمل هذه النقطة ما يلي:

أ) بحث مشكلات الإنسان الواقعية، ومحاولة إيجاد حلول لها.

---

(١) ارجع إلى الظلال ج ٢٦ ص ١٣٢ تفسير سورة الحجرات (ط دار الشروق).

(٢) زين العابدين الركابي - «الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» مجموعة محاضرات أسبوع نظمته «الندوة العالمية للشباب الإسلامي» ط/ ١٣٩٩ - ١٩٧٩/ ص ٣١٢.

ب) الاستفادة من الدراسات المستقبلية في مجال الاقتصاد والتعليم والسكان والصحة، وإقامة الصلة بين حاضر الناس ومستقبلهم لفتح آفاق جديدة أمام عقل الإنسان ونفسه وطموحه.

ج) استعمال الرموز المفهومة من قبل الجمهور، وعدم الغموض، وقد قال علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - « حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب اللهُ ورسولُه؟»[١].

وقال ابن مسعود: «ما أنتَ محدِّثاً قوماً حديثاً لا تبلُغُه عقولُهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٢].

د) مراعاة الحالة النفسية للمستقبل، ومراعاة الدقة في اختيار الوقت المناسب والمكان الملائم والوسيلة المجدية حسب نوع وقدرة المستقبل[٣].

هـ) مخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، ذلك أن التيئيس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية، والطرق المسدودة اتجاهات لا يقرها الإعلام الإسلامي، لأنها تحجُر ما وسعه الله، وتحبس الناس في سجن الواقع، وتخيب آمالهم[٤].

و) إشباع الحاجات النفسية للناس وتلبية رغباتهم في حدود العقيدة والشريعة وهذه تحقق فائدة ملموسة في حياتهم اليومية ومن أهم هذه الحاجات التي يجب أن يشبعها الإعلام ما يأتي:

---

(١) رواه البخاري في باب «من خَصَّ بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا» رقم ٤٩ حديث رقم ١٢٧ – فتح الباري.

(٢) قول ابن مسعود رواه مسلم ج ١ ص ٧٦ (باب النهي عن الحديث بكل ما سمع).

(٣) إبراهيم إمام (الإعلام والاتصال بالجماهير (ص ٢٢٥).

(٤) زين العابدين بن الركابي « الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية» ص / ٣٢٥.

- الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه.
- الحاجة إلى الأخبار حول مشكلات الساعة.
- الحاجة إلى رفع مستوى المعارف والثقافة العامة.
- الحاجة إلى دعم الاتجاهات النفسية وتعزيز المعايير والقيم والمعتقدات[1].

ويلخص إبراهيم إمام بعض الملاحظات على المضمون الإعلامي وأثره في الجماهير مسترشداً بالبحوث التي أجريت حول مضمون الرسالة الإعلامية ومحتوى الاتصال ويمكن إجمال نتائج هذه البحوث فيما يلي:

أ) في حالة عرض قضية ما على جمهور مثقف ثقافة عالية، يجب تقديم وجهتي النظر المختلفتين، أما في حالة الجمهور الأمي أو قليل الحظ من الثقافة والذي يميل إلى القضية أصلاً فيكفي عرض وجهة النظر المستهدفة فقط.

ب) يجب أن يلتزم الإعلامي بالموضوعية، وأن يبتعد عن الحياد الظاهري والانحياز المستتر لوجهة نظر واحدة، لأن الحياد الظاهري والانحياز المستتر يؤديان إلى خداع الجمهور وانصرافه عن الرسالة الإعلامية وشكه في مضمونها.

ج) يعتبر عرض وجهتي النظر معاً (أي وجهة النظر المعضدة، ووجهة النظر المعارضة) بمثابة «تحصين» للجمهور ضد التحول إلى وجهة النظر الأخرى حين تعرض عليه. أما إذا التزم الجمهور علنا بوجهة نظر تم الاقتناع بها في إطار من الحرية فإن تعريض الجمهور لوجهة نظر واحدة يصبح كافياً.

د) تزداد قوة تأثير المضمون الإعلامي في تحول الرأي عند الشرح والتصريح بالاستنتاجات أكثر منها عند العرض والتلميح فقط .

هـ) وكلما كان طريق تحقيق الأهداف واضحاً محدداً أمام الجمهور كان تحول الرأي إلى سلوك أسهل وأيسر.

---

(١) حامد زهران (علم النفس الاجتماعي) ص ٣٠٣.

و) وكلما زاد استخدام التهديد والتخويف كأداة للتأثير في الرأي وتحويله أحدثَ أثراً قليلاً، وكلما قل استخدامه فإن ذلك يحدث تأثراً أكبر. لذلك وجد أن التهديد الشديد يعوق عملية التعلم ويقلل التأثر بالمعلومات نظراً للاستغراق في عناصر التهديد الشديد.

ز) يؤثر التكرار تأثيراً قوياً في إقناع الجماهير بالرسالة الإعلامية بشرط أن يكون متغيراً متنوعاً وألا يصل إلى حد الإلحاح والمضايقة والمطاردة حتى لا يحدث أثراً عكسياً.

ح) يؤدي الإعلان عن الاستجابات الناجحة للرسالة الإعلامية إلى مزيد من الاستجابات الناجحة الجديدة.

ط) الاستناد إلى الحاجات النفسية وإشباعُها، والدوافع النفسية للسلوك البشري ومقابلتها يسهل العملية الإعلامية، أمَّا خَلْقُ حاجات نفسية جديدة والحثَّ على اكتسابها وتَعَلُّمها فإنه يكون أصعب بكثير.

ي) استغلال الاتجاهات النفسية السائدة وأنماط السلوك الحالية يساعد في التحول إلى أهداف جديدة[1].

وبهذه الفقرة .. نكتفي من العوامل المؤثرة في السلوك، وهناك عوامل أخرى كثيرة، مثل الإدراك، والتعليم وغير ذلك من العوامل، والتي منها ما كان في أبواب هذا البحث مثل الدعاية، والشائعة، وغسيل الدماغ (أي أسلحة الحرب النفسية الشهيرة) وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر، لأن كل فقرة من هذه العوامل تحتاج إلى بحث بمفرده.. وأرجو أن أكون قد أعطيت تصوراً واضحاً لهذه النقطة.

---

(١) علم النفس الاجتماعي د. زهران ص ٣٠١ – ٣٠٢ (نقلاً الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام).

المبحث الثالث

علم النفس العسكري والحرب النفسية

أولاً: علم النفس العسكري:

علم النفس العسكري أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، ولابد من إلقاء نظرة عليه لأهميته البالغة في دراسة أسس السلوك والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والوحدات العسكرية في وقت السلم ووقت الحرب، وفي عملية التعليم وفي تصميم المواقف التدريبية، وفي العلاج النفسي للحالات المرضية التي يمكن أن تصيب رجال القوات المسلحة أثناء المواقف التدريبية أو في المعارك الحربية[1].

وبإلقاء نظرة على اهتمامات علم النفس العسكري الآنفة نستطيع التوصل إلى المدلول الحقيقي له، وإن كان لنا بعض الملاحظات على هذه الاهتمامات وتقويمها فستكون بإذن الله من خلال دراستها بإيجاز. والدخول بعد ذلك في موضوعنا « الحرب النفسية » بعد أن نكون قد حددنا القاعدة النظرية لهذه الحرب.

فعلم النفس العسكري يهتم بـ:

أ) دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد في الجماعة الصغيرة والوحدة الكبيرة، ومن ثم إكساب الفرد الأساليب السلوكية الجديدة التي عليه أن يلتزم بها في الحياة العسكرية التي تختلف عن أساليب السلوك في الحياة المدنية. وإن كان لنا نقد للسلوك العسكري في بعض الأنظمة العربية، والمأخوذة ابتداء من الأنظمة الغربية، « الانكليزية والفرنسية بشكل خاص»، هذا السلوك الذي ظاهره النظام والطاعة للقائد، وباطنه التحلل من كل قيم الأخلاق والدين.. إذ إن مبدأ الطاعة العمياء للقائد، أو للأمر العسكري لا محل له في التصور الإسلامي. إذ « لا طاعة لمخلوق

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٢٨.

في معصية الخالق» والجانب الإيجابي في الطاعة هو الطاعة في الخير، وهو أمر إلهي: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء ٥٩].

أما النظام والتدريب، والجندية الدائمة في السلم والحرب، فيعطيها الإسلام الأهمية الكبيرة لبقاء شعلة الجهاد في المسلم مستمرة.

ب) دراسة الجماعة العسكرية، وأهمية هذه الجماعة في القتال، إذ تَعطى الفرد قوةً كبيرةً .. وهو لا يتحمل ضغط المعركة بمفرده، لذا حض الإسلام على القتال في الجماعة المتراصة، وشبّهها بالبنيان المرصوص الذي لا خلل فيه ولا فجوة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤ ﴾[الصف ٤] وتقوم الجماعة بتزكية الفرد إن زلَّ عن الطريق، وتأخذْ بيده وتعينه على مواجهة فِتن الحياة.

ج) دراسة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة والقيادة وبين الجماعة والجماعات الأخرى، كيف تكون علاقة الأفراد بالقائد؟ هل هناك معايير سلوكية محددة منضبطة أم أن العلاقات تختلف حسب الأفكار والعقائد المختلفة...؟

وإن علماء النفس العسكري يقولون إن دراسة التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعة لابد أن تقوم على أساس علمي وليس على أساس الارتجال، فنحن نحتاج إلى معرفة النظريات العلمية التي تعدل وتهذب وتوجه تفاعلنا مع الآخرين سواء كانوا قادة أو رفاق جهاد. إن مثل هذه المعرفة تفيد في فهم السلوك الحاضر والتنبؤ بالسلوك في المستقبل. إنَّ الفرد في تفاعله مع الجماعة يجد نفسه أمام مسائل عديدة منها علاقاته مع الأفراد الآخرين في الجماعة سواء كان جندياً أو ضابطاً أو قائداً، وعليه أن يشترك مع الجماعة في كثير من أوجه السلوك في التدريب وفي الميدان وفي الحياة اليومية وحتى في الترفيه[١].

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩.

د) دراسة نفسية « سيكولوجية » القيادة: فيجب على الضابط باعتباره قائداً دراسة نظريات القيادة ومبادئها بأنواعها، وعليه أن يعرف دوره في الجماعة ووظائفه القيادية، وإعداد وتدريب القادة. ويجب أن يعمل القائد جهد طاقته حتى تصبح الحياة العسكرية حياة محبة إلى نفوس الأفراد[1] إن القيادة الحقيقية هي الإحساس بمشاعر الأفراد ومطالبهم والتعبير عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتجميع القوى وراء الجهود المحققة لها. لذلك فلابد للقيادات أن تعي دورها الاجتماعي، في التوجيه والتدريب، وحسن القدوة، ولعل في تاريخنا الإسلامي العظيم أمثلة حية لهذه القيادة الفاضلة.

هـ) دراسة الروح المعنوية للفرد المقاتل ودورها في النصر والهزيمة ، ويقصد بالروح المعنوية المقدرة على البقاء والاستمرار، والجهاد الطويل عن تصميم ورغبة .. وإن علماء النفس العسكري فطنوا إلى أهمية الروح المعنوية بعد تجارب أظهرت لهم أن الجنود ذوي الروح المعنوية المنخفضة، يحاربون بضعف ويهزمون بسرعة ويتكبدون نسبياً إصابات أكثر من الجنود ذوي الروح العالية.. إلا أن الصخرة القاسية التي وقفت في طريق علماء النفس العسكري والقادة العسكريين هي كيفية تنمية الروح المعنوية لدى المقاتل؟ وكيف نجعله ذا روح قتالية مستمرة، وصلبة؟ وإنّ ما توصلوا إليه يبدو جزئياً في هذا المجال، وعمدوا إلى أمور سطحية ومادية، لا تسمن ولا تغني من جوع.. اللهم إلا في مواجهة قوات من صنف القوات المقاتلة لها من حيث الفراغ الروحي والاعتماد على القوة المادية فقط.

يرى بعض الباحثين أن « تنمية الروح المعنوية وتطويرها من أهم المشكلات التي تواجه القيادات العسكرية وأصعبها، فهي تعتمد على عدد كبير من العوامل بعضها خفي ولا يمكن قياسه بدقة. ولكن يبدو أن تقوية الروح المعنوية عمل يعتمد

---

(١) المصدر نفسه ص ٢٩.

أساساً على عوامل حيوية لدى الجنود وعلى الدافعية والثقة بالنفس وقوة الإرادة»[١].

ونتساءل نحن: ما هي هذه العوامل الحيوية والدافعية، ومن أين تتولد؟ هل من القوة الجسمية أم من مصادر أخرى كالعقيدة والمبادئ الفكرية؟ ولو رجع هذا الباحث إلى التاريخ الإسلامي .. ودرس قوة الروح المعنوية عند جند الله في فتوحاتهم. وغزواتهم.. وما يتمتعون به من الثبات والصبر وقوة البأس، على قلة عددهم وعُددهم، في مواجهة قوى كبيرة وكبيرة جداً كقوى الفرس والروم.. ومع ذلك انتصروا .. لعرف أن الإيمان هو سبب ذلك كله، الإيمان الصادق بالله.. والجهاد في سبيله، والاندفاع لتحقيق النصر أو الشهادة.. ولا أريد أن أسترسل في هذا المجال لأن تاريخ الإسلام يفيض بهذه البطولات.

والذي لاريب فيه، أن الخوف هو العدو الأول للروح المعنوية العالية، وأنه لا تنمية للروح المعنوية ولا تقوية لها إلا بنزع الخوف من القلوب، والرعب من النفوس، وقد حقق الله – عز وجل – ذلك للمؤمنين. قال تعالى: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة ٥٤] وقد بين الله تعالى أن الشيطان هو مصدر الخوف: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٥]

والحرب النفسية من غاياتها الكبرى قبيل المعركة زرع الخوف في قلوب الأعداء قال تعالى: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ ﴾ [الزمر ٣٦] ﴿ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ ﴾ [طه ٦٨] وقال تعالى في إعداد القوة لزرع الخوف في قلوب الكفار: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال ٦٠]

---

(١) الحرب النفسية – مقال في مجلة العربي العدد /١١٧/، د. عبد الله ناصر – (عدد جماد الأولى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٧م).

فالمؤمن الصادق المجاهد عندما يعتقد يقيناً أن الله معه، وهو ناصره على أعدائه، وإن استشهد فهو حي في الجنة، فكيف له بعد ذلك أن يخاف ويرهب الأعداء، ويهرب من المعركة. كيف لا تكون روحه المعنوية عالية.

أما التوصيات العديدة التي ينصح بها القادة لرفع الروح المعنوية لجنودهم ما هي إلا أمور ثانوية، لا بأس بها من حيث حسن سلوك القائد مع جنوده؛ كالإغراء المادي، والثناء الشخصي، وعدم احتقاره وإهانته، والتدريب المستمر، والعمل مع الجماعة، كل هذه الأمور حسنة، ولكن ليست هي الأساس في رفع الروح المعنوية كما ذكرنا آنفاً..

هذه هي الاهتمامات الرئيسة لعلم النفس العسكري، ولقد قام علماء النفس بأبحاث عديدة أثناء الحرب العالمية الثانية لاكتشاف اتجاهات الجنود وميولهم، واستخدموا مقاييس عديدة تستخدم في انتقاء أفراد القوات المسلحة من جنود وطلاب وضباط وتدريبهم وتوزيعهم على الوحدات والأسلحة المختلفة، ومن أمثلة الدراسات في هذا الصدد ما قام به « فرنون وباري » عام (١٩٤٩) في القوات المسلحة البريطانية[١].

ولقد أخذت الدول بأحدث الأساليب في انتقاء وتوزيع وتدريب الأفراد في القوات المسلحة فأنشأت معمل علم النفس العسكري لتحقيق مبدأ وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، على أساس الاختبارات النفسية المقننة، ليعمل كل وفرد في القوات المسلحة العمل الذي يتلاءم مع استعداده النفسي، وقدراته العقلية والجسمية[٢].

وهكذا نجد أن علم النفس العسكري لم يتم، إلا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية وتستفيد منه الدول المتحاربة في الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس، وسنرى هذا أثناء كلامنا عن تاريخ الحرب النفسية بإذن الله.

---

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٢٨.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٨.

ثانياً: الحرب النفسية:

بعد أن ألقينا نظرة على علم النفس الاجتماعي، وعرفنا اهتمامه بالسلوك الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي، وتفسير السلوك بالدوافع، والقدرة على تعديل الدوافع وتوجيهها، وانحرافها إن فتحت لها سبل الانحراف، ورأينا العوامل المؤثرة على هذا السلوك، وعرفنا علم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع الدخول في صميم الموضوع، موضوع الحرب النفسية، علماً بأنه ليس إلا موضوعاً مهماً من موضوعات كل من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العسكري، وعندما نعرف أن الحرب النفسية هي حرب غايتها تغيير السلوك وميدانها هو الشخصية، يظهر جلياً أهمية دراستنا للسلوك والدوافع قبل ذلك.

ولكي نتوصل إلى المدلول الواضح للحرب النفسية، لابد من دراسة تطورها من قبل الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، أي منذ وجود الحرب النفسية كفن وتطبيق واصطلاح .. أما عن وجودها الفعلي فهي موجودة منذ فجر التاريخ وبصور مختلفة، وسنبسط بحثها في الفصل الثاني من هذه الدراسة بإذن الله .

وقبل بدء البحث يجب أن نعرف أن الحروب نوعان:

- حروب تقليدية تستخدم السلاح.

- وحروب لا تستخدم السلاح مثل: الحروب السياسية والاقتصادية والنفسية.

ولقد قال ﷺ «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»[1].

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب، فهي حرب تغيير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، ولهذا فإن هذه الحرب تستخدم علم النفس بصفة

---

(١) حديث صحيح (مسند أحمد، أبو داود، والنسائي وابن حبان والحاكم) عن أنس رضي الله عنه (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير ج (٣، ٤) للألباني.

عامة، وعلى النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر. وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفاعل في قتل إرادة الخصم وتحطيم معنوياته والحصول على استسلامه[١] .. ومعرفتنا للحرب النفسية ومدلولها تعطينا درساً في الحرب النفسية الدفاعية لئلا يكون سلاح العدو مؤثراً فينا.

ولكن تعريفات الحرب النفسية اختلفت، وذلك حسب الغاية التي تسعى إليها، بالإضافة إلى تطور مدلولها على مر السنين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

وقد وردت عبارة «الحرب النفسية» لأول مرة في مؤلف لكاتب ألماني وهو (الكولونيل بلاو) وكان رئيساً للمعمل النفسي بوزارة الدفاع وقد أصدره عام ١٩٣٥م بعنوان «Propaganda ale wathe» وقد وضعت فيه أسس الحرب النفسية[٢].

ثم شاعت عبارة « الحرب النفسية » خلال الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء ودول المحور على السواء، وكانت تعبر عن الدعاية المبنية على الاستفادة من دروس علم النفس، وفي أمريكا أول من استخدم هذه التسمية بصفة رسمية عنوان الكتابة هو (بول لا ينبارجر) ثم (دانيل يدنر) في كتابه « الحرب النفسية ألمانيا » في عام ١٩٥٤م[٣].

ومن بين أول التعريفات للحرب النفسية في الجيش الأمريكي: « هي استخدام أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنوية وعلى سلوك أي جماعة لغرض عسكري معين»[٤] ، ثم عرفت في معجم المصطلحات الحربية للجيش نفسه: « الحرب النفسية: هي استخدام مخطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٥٣ – ٣٥٣.

(٢) مجلة السياسة الدولية – ٦ أكتوبر ١٩٦٦ – القاهرة – مقال بعنوان « الرأي العام الدولي والسلوك السياسي» د. حامد ربيع . أستاذ العلوم السياسية المساعد في جامعة القاهرة.

(٣) الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٩٠ – دار القاهرة ط ١/ ١٩٦٧/م.

(٤) المصدر السابق ص ٩٢.

وقت الطوارئ لإجراءات دعائية بقصد التأثير على آراء وعواطف ومواقف وسلوك جماعات أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها»[١] .

وقد عدل هذا التعريف في طبعة المعجم اللاحقة بحذف كلمتي «في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ» لأن مجال الحرب النفسية لا يقتصر على هذه الأوقات[٢].

وهناك نسخة خطية للبحرية الأمريكية أعدت عام ١٩٤٦م وأعيدت كتابتها عام ١٩٥٠ جاء فيها « إنَّ المهمة الأساسية للحرب النفسية هي فرض إرادتنا على إرادة العدو بغرض التحكم في أعماله بطرق غير الطرق العسكرية، ووسائل غير الوسائل الاقتصادية.

وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى وأنواع نشاطها القصير المدى يشمل :

أ) الدعاية الإستراتيجية.

ب) دعاية القتال.

جـ) نشر الأخبار .

د) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة.

هـ) دعاية سرية. وتتضمن الحرب النفسية البعيدة المدى: «نَشْر الأنباء بطريقة مستمرة وبوسائل شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها والحصول على العطف والتأييد»[٣] .

وعندما نجمع بين التعريفين السابقين مع التعديل الذي طرأ على التعريف الأول يتضح أمامنا:

---

(١) نفس المصدر ص ٩٢.

(٢) نفس المصدر ص ٩٢.

(٣) المصدر السابق ص ٩٤.

أ) أن من بين عناصر الحرب النفسية خداع العدو بطريقة منظمة ومحكمة، في الحرب والسلم على السواء.. وقد يكون الخداع سائغاً في الحرب. أما في السلم فلا تجيزه شريعة من الشرائع، ولا أمة عندها أخلاق إلا إذا كانت هذه الأمة تتبع سبيل: « الغاية تبرر الوسيلة » على مذهب مكيافيلي[(١)].

ب) أن الحرب النفسية كانت مرتبطة بالقتال المسلح، ثم أصبحت إحدى خصائص العالم المعاصر بعد عام ١٩٤٨م بالرغم من عدم وجود قتال مسلح. وأخذت أسماء متعددة: مثل الحرب الباردة أو الحرب السياسية أو حرب الدعاية.

جـ) أن الحرب النفسية تقوم على الدعاية، ولذا كان تعريف الدعاية في تصور هؤلاء يماثل تعريف الحرب النفسية، ولهذا كانت الدعاية إحدى أسلحة الحرب النفسية.. كما سنرى مستقبلاً بإذن الله، لأن مضمون الدعاية هو مضمون الحرب النفسية من حيث اعتماده على الخداع والتمويه؛ فالدعاية تقوم على أساس فكرة « الاستخدام المنظم لوسائل الاتصال لتوجيه شخص أو أكثر وتغيير رأيه أو التعديل فيه استناداً إلى حجج أو أساليب تتضمن نوعاً من التمويه والتضليل في الحقيقة المجردة»[(٢)].

د) أن الدعاية قد تسعى للإقناع ولو بأساليب غير نظيفة. إلا أن الحرب النفسية تعد من أسوأ الصور للدعاية السياسية.. فهي:

١- لا تسعى للإقناع ولكن غايتها الوحيدة تحطيم القوة المعنوية للخصم موضع الهجوم.

٢- أنها لا تتوجه إلا إلى خصم، سواء كان الخصم محلياً أو أجنبياً، على أن الصورة العادية للحرب النفسي هي الخصم الأجنبي[(٣)].

---

(١) مكيافيلي صاحب كتاب « الأمير» المشهور.

(٢) الرأي العام والسلوك السياسي « مقال حامد ربيع في مجلة : السياسة الدولية» ص ٩٤.

(٣) المصدر السابق ص ٩٥.

بالإضافة إلى ما تقدم في تعريفات الحرب النفسية، نجد أنها تتخذ صوراً كثيرة في الحياة المعاصرة، وخاصة بعد الصراع العقائدي بين الشرق والغرب، وهذا ما يجعل تعريفاتها تتسع وتضيق حسب الغاية المرجوة منها، وحسب المواقف والعلاقات الدولية.

ومن الأسماء المتعددة للحرب النفسية، الحرب العقائدية، حرب الأعصاب، الحرب السياسية، الحرب الباردة، حرب الأفكار، الحصول على عقول الرجال وإرادتهم، التسميم السياسي.. إلخ .

واسم الحرب السياسية بالذات تسمية بريطانية للحرب النفسية: فتعريف الحرب السياسية في الصحيفة الرسمية التي تصدرها الحكومة البريطانية « بأنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب منه أن يفرض إرادته على خصمه بطريق غير طريقة القوات المسلحة، ومن الناحية العملية يمكن أن نقول: إن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية»[١].

وكتب جون سكوت وهو مؤلف أمريكي كتاباً أسماه « الحرب السياسية دليل للتعايش التنافسي» يعرف الحرب السياسية فيه: « إنها تتضمن الأنشطة التي يطلق عليها الجيش حرباً غير تقليدية» ويبين هدف الحرب السياسية والذي لا يخرج في كثير ولا قليل عن هدف الحرب النفسية يقول: « إن الهدف الأساسي للحرب السياسية المدمرة هو إضعاف العدو وإذا أمكن تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي والمعلومات الصحيحة والمضللة والإثارة والتخويف والتخريب والإرهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيديه»[٢].

ويقول في هذا الكتاب: « ومن الوسائل الكبرى التي تستخدم عند شن حرب سياسية نقل الأفكار»[٣] ويوضح لنا هذا التعريف الهدف من الحرب السياسية أو

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٩٦.

(٢) المصدر السابق ص ٩٧.

(٣) المصدر السابق ص ٩٧ أيضاً.

النفسية وأساليبها، دور التخويف والإرهاب والكذب، والتضليل في هذه الحرب، بالإضافة إلى دور الغزو الفكري في تمهيد الطريق لهذه الحرب، ولعل المسلمين الذين عانوا من الغزو الفكري أكثر مما تعانيه شعوب الأرض على الإطلاق، أكثر وعياً لهذه الحرب التي تشن عليهم بشكل دائم من الشرق والغرب على السواء.

أما مصطلح « الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال» الذي هو اسم آخر للحرب النفسية فلا يتم هذا إلا بتغيير سلوك الإنسان الذي هو هدف الحرب أما كيف يتم هذا التغيير، فقد رأى البعض أنه لا يتم إلا بعملية « غسيل المخ » أو عمليات تغيير الشخصية بوسائل « فسيولوجية » أو غيرها من الوسائل المباشرة أو غير المباشرة أو إعادة البناء الذهني أو « التكنيك السيكولوجي » .. وفكرة غسيل المخ سنبحثها بإذن الله كسلاح من أسلحة الحرب النفسية مفصلاً.

أهداف الحرب النفسية: يتضح مفهوم الحرب النفسية أكثر، من خلال تبيان غايات الحرب النفسية وأهدافها في الحياة المعاصرة.. وهذه الأهداف لا يمكن أن تتعدى واحداً من أربع وهي[١]:

١- تحطيم إيمان الخصم بعقيدته السياسية.

٢- تحطيم الوحدة النفسية للخصم العقائدي.

٣- استغلال بعض الانتصارات التي توصل إليها الطرف المهاجم، واتخاذ هذا النجاح الذي لم يستطع الخصم الوصول إليه وسيلة لإضعاف الثقة في عقيدة هذا الأخير التي لم تسمح له بمثل هذا النجاح.

٤- رفض دعاية أو حملة مخالفة[١].

ولتحقيق هذه الأهداف يلجأ الخصم إلى وسائل مختلفة، وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في ذلك.. ومن هذه الوسائل الدعاية والشائعة.. وليس ضرورياً

---

(١) مقال : الرأي العام الدولي والسلوك السياسي د. حامد ربيع ص ٩٥ مجلة السياسة الدولية – أكتوبر ١٩٦٦ القاهرة.

نجاح الخصم في أهدافه، بل قد تؤدي الدعاية إلى عكس ما يراد لها كما سنرى في بحثنا للدعاية. وخاصة إذا كان الخصم أمة داعية مؤمنة بمبادئها، محصنة ضد الحرب النفسية الموجهة من عدوها، روحها المعنوية عالية بإيمانها وثباتها على الحق.